

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00996 5843



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

العتري ١٥٩

ابن اردوي ١٥٨

المتنبي ٤٥٠

ITY

الج

1000 20 1000

1000 20 1000

1000 20 1000

كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

PT

7510

Z3

1924

V. 2

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته

من العلوم والآداب على اختلاف مواضعها. وتراجم العلماء

والادباء والشعراء وسائر أرباب القرائح. ووصف

مؤلفاتهم وأما كن وجودها أو طبعها

من أقدم أزمنة التاريخ
Zaydan, Jirjī

الى الآن
Kitāb tārikh ādāb al-lughah al-'Arabīyah

تأليف

عرجى زيدان

منشيء الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من

قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

ويدخل فيه تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج

العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة النهضة

سنة ١٩٣٠

B11739459
13659224

SITY

٨١٠٩
٤٠٤٠

٤٥

٤٧

11746

الجاه

اجمع:

١٧ - ٢٦
٤٤ - ٤٢ - ٤١

١ - العصر العباسي الأول
٢ - العصر العباسي الثاني

ولاتيني

١ - "أبولوناس" ٢٤-٢٦
٢ - "أبولوناس" ٤٦ - ٤٤

المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة أو التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الا من يحصر كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علماً يلدُّ له ولا يهمه سواه . أو يتعاطى الكتابة لاغراض معينة . أو يكون مرماء من التأليف بيان قدرته على الانشاء والفوص على المعاني العويصة والألفاظ الغريبة بتقليد الأساليب القديمة التماساً لأعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء - فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا إقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة - مع أنه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه باسانيه

وأما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدُّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني أن يسبكه في قالب سهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتّاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع أو الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها - بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى أعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركافة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه - وهو شائع اليوم على اقلام الكتّاب لا يشذ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلُّ بيعه أو التصرف فيه وفاتهم أنها من قبل الاحياء الخاضعة لنا موس الارتقاء تتغير بتغير أحوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب
العصرية للافكار العصرية. وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها. كالأعضاء المهمة في
الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالحويصلات التي
تدثر بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغير الذي يصيب الالفاظ
والاساليب باختلاف الاعصر دليل على حياة اللغة. ومن حاول الوقوف في سبيل هذا
التغير فقد عارض الطبيعة - كما يفعل الصينيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد
لتبقى صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة .
وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

أما صدق اللهجة والصراحة في القول والخالو من الغرض فهي من أهم واجبات
الكاتب لكنها من أصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من
الروابط الدينية أو الاجتماعية التي تتجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره
بتوالي الاعوام . وإنما يقوى على مغالبتها قوي الارادة عالي التربية . وقد يتطرف
المتعصب لأمة أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات
ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضر

أما المواضع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو
ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه وأسلوبه في تأديته . وفي
مقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . لان من الكتاب من يصرف همه الى
رشاقة العبارة وتزويقها وتميقها ولو جرد ذلك الى تبديد المعنى أو غموضه . ومنهم من
يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف أو تأنيق ويحافظ على
سلامة المعنى قبل كل شيء - هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديدها في ما
نكتبه . لا تنازى الامة في حاجة الى الحقائق أكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما
توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته .
ولانا نعلق أهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ آداب اللغة

واختلف الكتاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ
الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم. أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر في تاريخه
مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبتهم أو يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفي باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الامم الاخرى . أما نحن فقد أردنا ان نجتمع بين ذلك كله على ما يبلغ اليه الامكان

نسى هذا الكتاب

فقسمننا كتابنا الى أعصر يدنا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرّخنا كل علم في كل عصر وترجمنا الناغبين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا أهم تلك الكتب ومنزلتها من سواها . وأشرفنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوروبا أو غيرها من المكاتب العمومية أو الخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . فنرجو ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا اليه لننشره خدمة لآداب هذا اللسان . وذيانا كل ترجمة أو باب بأشهر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريد منها

الفرض من هذا الكتاب

وقد الفنا هذا الكتاب للناشئة العربية أو طلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية وأماكنها للمطالعة أو التأليف . أو يعوزهم درس موضوع أو

الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدكم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من المواضيع الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية وأحب الاطلاع على مقاله العرب فيه ولا يدري من ألف فيه منهم وهل ما ألفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواء في موضوعه وهل طبع وأين وإذا لم يطبع فأين يوجد؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريد من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آتسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكون العلوم . فاقنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب اليها البعض الآخر ان نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنفعل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . أما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . وأما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة متفاوت شدة وأسلوباً متفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدل على خرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحکم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاعراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعاً ولو أوتي علم الاولين والآخرين

ومما يحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليبه من الامثلة الشعرية أو النثرية ولكن ذلك ما أردناه . ولو أكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فيطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجدين . و « مجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابهِ

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً نتم عن أدبه وفضله ودل على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أو قبل اوانه . فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلاً كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكر اكثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولاً في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانه تقدم لنا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بملخص الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان وأشرنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا اخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من وراءها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته وننظر فيها باخلاص وامتنان . وفي كل حال فاننا قد استفدنا من انتقاده جزاء الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . واما نريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢ - ٢٣٢) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة والثاني (سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) هو فترة بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراءؤها ووزرائؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء والرابع (سنة ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فأكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجئنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

الخلاصة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنًا فذلك ما أردناه وهو فرضُ ادينا . والافقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعانا وبالله التوفيق

العصر العباسي او المولت العباسية

من سنة ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً بيناً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية - الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن - من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وقد تقلبت آداب اللغة العربية في اثنائها بتقلب الدول وتغلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواها باختلاف احوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالهما . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار او اعصر وهي :

- ١ - الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الاول
- ٢ - العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ
- ٣ - العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ
- ٤ - العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها في ايدي التتر سنة ٦٥٦ هـ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى احوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية ونمهد الكلام في ما كان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد أشرنا الى شيء من ذلك متفرقاً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خدمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلاً خاصاً لبيان ذلك

١ - العلوم التي تفرعت مع القرآن او نُسبت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا بأسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفي الموزون . وقد خالف كليهما وهو مشهور مقفي على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختالفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مرراً ذكرهم . وأخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف . وعلل القرآن . وكتابة القرآن . وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بخفض رسوله فصنّف باب العطف والنعت وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو أو الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة أي أنه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا أيضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجزَّهم ذلك إلى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وأمثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن - قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم أسلوب لم يألوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أو ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزمخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلداً ضخماً افرد بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن - قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء « وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والعروض وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن أيضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل الفرائح في جمعها وتدوينها وتولده من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وتلقيقه واحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء ﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين عاماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة إن لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « أن الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امرؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجزّهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النساين أو غيرهم وكان ذلك من أهم اسس علم التاريخ واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم وكتاب تهذيب الاسماء فان من أهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبية والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك أن المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاحبار للعبارة والموعظة كقوله « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الاباب » وقوله « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافية ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا أو تقويم ابلدان أو الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حماته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً أو عنوة . فجزّهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلّة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن في آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احداثه القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهالك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً وبلاغةً والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات فمارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتحدي اسلوبه واقتباس آياته . فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلاً وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرّض أهله على طاعة أخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤ وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم ترين بشيء من القرآن « الشوهاء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . وأقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على السنة الرواة . على أنهم نقلوا الينا من أساليب الخطابة في الجاهلية ما يخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ . والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يتحدون القرآن في الایجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملاً بالحديث الفائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء - كأن الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل إليه . وقد أتينا بأمثلة من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٩٩

وكانوا اذا أرادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم . ويكفي مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله - ثم كان للانشاء تاريخ سنائي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن أو الاسلام حتى عددها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه » وقد رأيت أن العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت أن صارت عالية عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيديويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب أو علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره باساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها . ويرى المسلم في القرآن أما كن يتسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ - تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية في الامم الاخرى - ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقي العنصر العربي . لان الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه - لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتنفرق أصحابها أمماً وطوائف واحتمت الدولة الرومانية والأمة الرومانية كما أحت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقبط في مصر - وهؤلاء انما حفظت جامعهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها. ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبها. ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وفناؤها أو اندماجها في الامم التي تسلطت عليها كما أصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام. لكنها الآن تجتمع وتتكتف لأنها تفاهم بلغة واحدة لغة القرآن وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا تركستان وخراسان وفارس. فان عدد قراء العربية يزيد على مئتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمه من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده. وقراء الانجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة. وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها. أما القرآن فالمسلمون يقرأونه في اللغة العربية

ويعد من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في أخلاق اصحابه. ولسلك كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم - وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان. ولسلك دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه. فالمسيحيون يشتركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك اليهود وغيرهم

واعتر ذلك في القرآن بل هو أشد تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم اطفال. وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية والدينية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم والعائلية حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استباطه منه ويوجد له مثالا فيه. وهذا لا تراه في الانجيل مثلاً فانها كتب تعليمية لمصاحبة الآخرة فقط. ولا تجد فيها شرعا او حكومة او احوالا شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما تختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية أو الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألفوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية . فضلا عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في

اللغات الاخرى

مكتبة براد

العصر العباسي الاول

او المائة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابار مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هز أركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترک والتتار والهنود - حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول او على اثره . فتبع في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من شؤل الشعراء على عهد دولة طائع وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يجوبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقي فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقابي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف محلهم واجناسهم وعناصرهم وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب أهل البادية من القبائل التي نزحت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمراتها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش واركانهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وأكلوهم وحادوثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قرينة أو علم أو ادب الا يئس دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً ولا يزهوا العلم الا في ظل امير يتعهدوهم ويأخذ بايدي أهله — والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم: يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وريها تنوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبيتي » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبيتي باهل بيتي الا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد علي من مصيبيتي بابني »^(١)

وكان للمنصور دفاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته^(٢) . وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق^(٣) وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغانى ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البياز ١٥ ج ٢

تشبيهم قبل المدح وكان يكره الغزل^(١) اما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا^(٢) وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وفضله وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك ببناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه «ادب ابراهيم» وكتاب الطبخ والطب وكتاب الفناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً والى في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجراح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان تزدهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لا تجد نهضة الا كان للملك او الامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق واردة الملك شريعة المملوكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقايد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في ايامهم من المجوس وغيرهم . غير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعياً وكان وزيره يحيى بن اكرم سنياً ووزيره احمد بن ابي دواد معتزلياً . وكيفك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القران فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فرما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فاولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدينة قديمة وكانوا يوثقون في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبدلون المال في تقريبتهم واستحثاث قرأهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم ايدٍ بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالي (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصرهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالي واستخدموهم في امور الدولة. فارتفع شأن الموالي من ذلك الحين واكثرهم من الفرس. اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل. وكان الخلفاء العباسيون يتواصلون بالموالي وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجوّاري مما لم يسمع به قبله حتى كان منهم في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادوهن كما يتهادون الحلي والجواهر^(١) . وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم وشاع تسريحهم كما يتسرون الجوّاري ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحبونهم كما يحبون النساء^(٢)

فالانقلاب السياسي والاجتماعي المشار اليه احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيحيى

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ (٢) الاغاني ٢٠٨ ج ٦

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في اربعة ابواب :
الاول : العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر
والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ : العلوم الشرعية الاسلامية
التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها
العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى
ولنبداً بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساتنا
لضاق بنا المقام وبعدها عن المراد من هذا الكتاب—نعني الكلام في ما يمكن الرجوع
اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ اصبح معظمها في
زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من
تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بفدلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة
من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا
عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن
الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم
وحجهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم— كما فعل العرب في اوائل
دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالقوا لهم الكتب
باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من
الفروع . أما العرب فانهم حالما استتب لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا
رعاياهم على مكانبتهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى
العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة اجاث رجال العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمته التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان - ولا يراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهله رأساً ولكنهم جاءوا والعلوم قد تحللت بتوالي الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والسكندان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والسكندانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والسكندان على ما يأذن به المقام . ثم تقدم الى الكلام في ما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسة

بيننا في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بملخص تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب المورية فانها توالى ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقديمونيين واصبح الاثينيون بعد العزاذلاء فساقهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية او سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصبحت اثينا بالذل بعد تلك العظيمة اصاب اهله اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لاحيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليقات الفاسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به ائتنا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتبنت أذهانهم وانصرفت قرايحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ونفوسهم تشاق إلى الزيادة



ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثنيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية أو هو محوّل الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون أذيتهم أو

يسعون فيها . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه



ش ٢ : افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكليية والاشرافية . وهذه الاخيرة اشهرها ، وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والنقليات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والآلهة عنده ثلاث طبقات . عليون ومتوسطون وسفليون وعلم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطالس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهتم تزويق العبارة او



ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهيمه الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مزجت فلسفة افلاطون والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقل احد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفي سنة ٣٥٧ ق.م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتماد



ش ٤ : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالساعة ويصف
المسهلات النباتية والمعدنية. وله كتب في الطب كثيرة ذكرها منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت
له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية .
وما زالت كتب ابقراط معول الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرهما
او ترجمها او علق عليها

ومن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ارسطو وغيره
من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب
شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم
العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادئ هذا العلم عن سبقهم من أم التمدن
القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة
ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جاء بعده من فلاسفة اليونان ولم
يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم
الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس
الشهير المتوفي سنة ٥٠٠ ق.م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يوناني من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس



ش ٥ : اوقليدس

وقد عقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث



ش ٦ : ارخميدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و ١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد والف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام



ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشریح وفاقوا به سواهم وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في أواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه واصبحت كتبه معول الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم امة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح بيضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتع على أعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهمات ومؤونته من اوسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبالغ قوتها لا تخلو من ادب وعلم والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والآنواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية ^(١) واخترنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انوشروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستينيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففر بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان فاکرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب ^(٢) والقوا فيهما الكتب فطالها هو ورجب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انوشروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

(٢) الفهرست ٢٤٢

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١

٢٤٢
"مهر ارب"
لعلامة الصوفية

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود
ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية^(١) وانشأ في جند بسابور مارستاناً (مستشفى)
لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا
يعلمون فيه الطين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسينين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمننا في هذا المقام ما كان عندهم من علوم الفلاسفة
التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر
علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم .
والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمانت خواطرهم من مظالم الحكماء وتشويش
الفاحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة
ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها وخلصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر
الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من انساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم
في العلم لانفسهم

كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية
واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتداء السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في
القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق
في اواسط القرن المذكور . ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور
وفي المتحف البريطاني بلندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية .
وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريبوس وكتاب النفس وغيرها وقد نشر بعضها من
عهد قريب

في اوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم
فلسفة اليونان باللغة اليونانية ونخرج فيها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف
سويرس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك
العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف
البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واتناسيوس

بلد . ومن تلامذته اثناسيوس جورجوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرها مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جنديسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واناتوس الامدى وسمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في اثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السرياني فقط او الى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم يعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة اطباء اُلقوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم من كرهه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم وموافقها وارجحها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب المذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhanta هو عبارة عن زيچ ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعلم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اکتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلها

تلك حال العلوم والآداب عند الأمم المتقدمة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور كان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب . والمهدي قلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم ^(١)

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبتهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم . واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعا على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : أشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل . وحيثش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني والكرخي . وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد ومرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحيى بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدى . هؤلاء أشهر

نقلة العلم من اليوناني او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول واما النقلة من اللسان الاخرى فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التيمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهر يار . والحسن



ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

ابن سهل وكان من المنجمين. والبلاذري احمد بن يحيى وجيلة بن سالم كاتب هشام .
 واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه. ومنهم محمد بن الجهم البرمكي
 وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم
 ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة
 اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن
 الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي (١)
 ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل
 كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنوشا كرا وبنو
 موسى لانهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعدهم ببني
 المنجم. كان موسى يصحب المأمون والمأمون برعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في
 الهندسة والنجوم والطبيعات والميكانيكات وغيرها . وأتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم وأحضروا الثمالة بالبذل لنقلها . ومن بذلوا ائمال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبد الملك الزيات، علي بن يحيى المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فمددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالوس وبطليموس وابرخس وذيقنطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانية او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذلك لم ينقلوا منه شيئاً وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فأخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكانهم ورثوا اعم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

الباقى من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :

كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية في مكتبة ليدين

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرها

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه . منها رسائل في الطب والاختبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية وأشار الى اما كن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة الاسكوريال ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن . وكتاب النواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو وليعقوب بن اسحق الكندي فياسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا الكتاب ولا سيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجمنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلاً . ولتعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه تمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ احوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنوع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنوعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الامفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسحذات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والخدترات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

واقعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ونخمر ومحكك ومقرح واكل ولاذع ومقنت ومعفن وكاو ومبرد ومقو ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرد ومعرق ومزلق ومملىس وترياق وغير ذلك ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والتهتك والوي والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والحيار وغيره

ناهيك باسماء الامراض او اعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشررة والشرناق والحانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء

والديلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيفة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كالزمنة والحادة والمختلطة والغب والمنطقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كاسماء الاوعية الدموية ورطوبات الدين وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفاسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقهاء ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهية والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهاء والاصولية حتى صارت تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة صفحة و « كشف اصطلاحات الفنون » لتهانوي في نحو النفي صفحة كبيرة و « كلييات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحى في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

وزيد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم كالافستين والبقدونس والزيفون والسقمونيا والفتناريون والمصطكي من اللغة اليونانية ، والبابونج والبورق والبنج وخيار شمير والزاتينج والزرجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القوانج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية ومن المصنوعات والادوات الاطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجزار والديسكرة والاسطوانة من الفارسية
ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولي والاسطقس والفلسفة والطاسم
والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة
الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستكفون من اقتباس الالفاظ
الاعجمية ولم يتبعوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم
بل كانوا كثيراً ما يستخدمون المعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرام
مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما
ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو
استكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً
التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر فيما
ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم
شيء من ذلك وان كنا لانستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه . على
انا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب
الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً . واذا دققنا النظر في سبب ذلك رأينا عبارة اصحاب
الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

- (١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية
- (٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم
- (٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول
- (٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه
- (٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني
ونفساني وبقلائي ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان
العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها
ولا بأس منها :

- (١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم اللانهاية
واللا أدرية واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللمية والكيفية والسكية والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائة والمنضجة والخاصة ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب الستار» وهو تعبير فارسي . غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة . وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها . وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتركيبة السريانية والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلتراجع هناك ما أخذ لهذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره « كتاب التعريفات » للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم ، وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و « درة الغواص » للحريري طبع في مصر وغيرها . و « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشاف اصطلاحات الفنون » لاتهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ و « المعرب من الكلام الاعجمي » لابن منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب « المعرب والدخيل » لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة ، منه نسخة خطية في المكتبة الحديوية . و « المعرب في ترتيب المعرب » لابن الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الحديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنه الى الناعمة. فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم . وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها يبيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . لا عشير له الا جواده او ناقته - اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بأزهي الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء او يحتذي النعال من الخوص او الجبال لبس الحرير والوشي - وانتعل الخف والجورب وتخفف بالغلائل والملايات . واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشاءون . وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم . فانتشر التهنك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم. فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد ويندر فيهم المتحضرين . اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض بخالف ذلك - كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب .
حتى حجب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون
حجبا للناس (١) وفعل ولم يفلح

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عايناه في العصر الاموي طبيعي
وفي جملة الشعر والشعراء وخيالهم - واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف
العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة
وآدابها وسائر احوالها . نخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ - طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه
ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم . واهم ما يلاحظ في النظم ثلاثة امور :
(١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب
وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال
الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب
ظلوا الى عهد غير بعيد يتحدون طريقة الجاهليين فيما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم
بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيره من خصائص الجاهلية . حتى الالفاظ فانهم كثيراً
ما يقلدونها فيها وفيها الوحشي الذي لا يلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس
والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية
اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون
مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب . فرسخ في اذهان
الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس
وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الركافة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سار نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لايزال في مكانه - هذا هو ميروس لايزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرى القيس والنايفة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوايغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأنًا خاصاً من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم نعتي الشعراء والخطباء والمترسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية (١) فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة - ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لا يدفعا دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثلاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يتحدثون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقييح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء (٢) وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على أن الشعراء تنهوا الى هذا الامر في صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرتهم لغلبة التقاليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حربة القول . وأصبح حديث الشعراء في مجلسهم انتقاد تلك الطريقة ، واقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من أهل الكوفة ففأوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من يدي يحار بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلةٌ في وجه صاحبه ترعى (٣)

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وعمن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

(٢) الشعر والشعراء ٥

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١

(٣) الاغانى ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
ومن هذا التمثيل قوله :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)
ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالحجر واخذ عليه ألا يذكرها في شعره وكأنه كلفه
الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلاع والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الحمرا
دعاني الى نعت الطول مساط تضييق ذراعي ان ارد له امرا
فسمعا امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا
فجاهر بان وصفه الاطلاع والقفرا انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ
وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى
الجاهليين حتى الآن

واثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية او حفظ فيها من
آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيالا لطيفاً وزادت فيه معان
جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . ويشبه ذلك
تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ - المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه .
وفي الواقع انهم طرقتوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معان
خاصة . او هي توسع الخيال وتفتمق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في
اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في
طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثاها
للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى ما زادوه من المعاني
وما زاده الذين جاءوا بعدهم - علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال
الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى :
يا قوم اذني لبعض الحبي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا (٢)
قالوا بمن لا ترى تهذي فقات لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا
وقول ابي نواس :

فكاني وما ازين منها قعدي يزبن التحكما

كل عن حملة السلاح الى الحر ب فاصى المطيق ألا يقيا
والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعده عنه . وقوله أيضاً :
بنيت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم
فلورد في كسرى بن ساسان روحه اذا لاصطفاني دون كل نديم
وقال أيضاً في صفة النساء الحمارات ويروي لابن المعتز :

ونحت زناير شددن عقودها زناير اعكان معاقدها السرر
فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال أيضاً :

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتغلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت محلاً
ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نهبت خامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلام
غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ولا سيما النسيب والغزل

٣ - المعاني الجديدة بالاعتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول
العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية
فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد . ومنها قول
أبي نواس :

وذات خدم مورد قوهية المتجرد

تأمل العين منها محاسناً ليس تنفذ

فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد

والحسن في كل عضو منها معادٍ مردد

يا عاقد القلب مني هلا تذكرت جلاً

تركت قلبي قليلاً من القليل أقللاً

وقوله :

يكاد لا يتجزى أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقتباس أبي العتاهية ما قاله بعض
حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفي حزناً بدفئك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظام فانت اليوم أو عظ منك حياً

ومن المعاني التي دخات الشعر في هذا العصر أقوال بعض الأئمة ورجال الافكار
اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع
كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيات الفاتك اللهج

وحضارة العباسيين أكثر عمالها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية
فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في أشعارهم كقول
العامي من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد

يجول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

لا هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد

آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا أيضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابرهم الموصللي المغني

في وصف خمار نبطي - وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « ازل بشينا » حين ودعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (٢)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدثت من ثمار تلك المدينة من أسماء الآنية

والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء

٤ - المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية أقرب الى

الواقع وأبعد عن المبالغة ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء

واضطراب الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما جثته مهللاً كأنك تعطيه الذي انت ساءه

صار منصور النمري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع

اذا رفعت امراً فالله رافعه ومن وضعت من الاقوام متضع

من لم يكن بامين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان اخلف الغيث لم تخلف انامله او ضاق امر ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكانه بعد الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح ابي دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال

وما مدت مدى طرف الى احد الا قضيت بارزاق وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلنى والانفاس

في الرخاء كما ستراه

ه - وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على

اثر انفاسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفها لم ينضج الا في العصر العباسي

الاول الذي نحن في صدده . وأشهر من نظم في وصفها من شعرائه أبو نواس فان له

في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع مجدها في ديوانه . ولذلك

عدوا أبو نواس أمام الوصافين للخمر

أما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من

شعرائه المقيمين في بغداد لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به . وأقدم من فعل ذلك منهم

حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك ، واقتدى به أبو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به

في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادها تمكناً من هذه الرذيلة تقرّبهما من

محمد الامين وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنه له ولشعرائه . وحسين المذكور أقوال

كثيرة في وصف الغلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

أما أبو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر »

فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا

لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهلك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد النهي عنها . لكنه قد يسكر او يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة . كما يخللون بعض الالعب اليوم لانها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار . ولكنهم قد يتقارون بها أو هي تجرهم الى المقامرة الفاحشة . وأصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر باباً من أبواب الشعر

٦ - الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من أسباب اللهو ولاسيما الخمر والجواري والغلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء أكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم أبو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة أو مثال يدل عليها

٧ - وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصفها فيه أبو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستبث نعيمه في ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة نثرت به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في أقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو غيرها من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق مؤزر بعميم النبات مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

على أن أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبي نواس وابي تمام وفاقها فيه أهل

العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرو بينهم وبين من تقدمهم

قد رأيت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لانفسهم نفراً أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ثم تبين لك أن شعراء بني أمية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستئصال بأسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبية بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصرواؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة فلما استقرت اصولها أصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعراً لعصبية أو يستنصره على عدو . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ - الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة كما كانوا يفدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الإقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثير الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب أهل البادية ^(١) وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . واكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء ولا سيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد بن سليمان . أو بعض رجال الدولة كابي دلف وابن طاهر فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة أو بلد الا وفد على الخلفاء أو غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغانى ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا ياتمس به جائزة أو كسباً . فاذا تحضر صار نديماً أو كالنديم . فقلَّ الشعراء الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثيراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر أقل كثيراً

٢ - التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيار الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثرت في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل وأقل منهم في العصر الجاهلي . ومن أقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائر الطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

أما المتهتكون فبلغ من تهتكهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام^(١) وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون أقبح من ذلك مما ينجس القلم من ذكره^(٢) غير مجالسهم في أما كن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليلع يذاكرون الشعر وينظمون واذا عملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رأيت أصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من الخاصة أو الشعراء فجعفر ابن المنصور أفسده مطيع بن اياس^(٣) ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ - الشعراء الموالى

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصراً في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس ثم تكاثرت الشعراء الموالى في العصر الاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يفدون أيضاً من البصرة والكوفة وغيرها من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالى كابي نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١١

برد وسلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة . فامتاز أولئك الموالى الاعاجم على اسيادهم العرب كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان - وأولهما ابن مولى والاخر ابن خطاب^(١) ولم يكن للشاعر العربي بدءاً من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم

٤ - الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على أثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس - والفلسفة لم تدخل ديار قوم أهل دين الا شوشة اعتقادهم وتركتم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رأيهم على شيء يدينون به كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على أن الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معايشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقرب الموالى أهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبثوها في سائرهم - فاتيح لطائفة المعتزلة أن تنشر تعاليمها وانتقاداتها واتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهرُوا بانتقاد الدين أو الذهاب الى انكاره وكلهم متهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وأبان اللاحقي وعمار بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وجداً^(٢) وكثيراً ما كانوا يشتركون في أموالم واحوالهم كما يفعل الاشرار كيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان أولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسيمست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مريحي بن زياد وحماد الراوية وهما يتجادلان فقال لهما «فما اتما؟» قالا «في قذف المحصنات» قال «او في الارض محصنة تقذفانها؟»^(٣)

وبدل هذا من جهة اخرى على رأيهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج ١٦ و٨١ و١٠٠ ج ١٢ وولكن ٣٧٤

٥ - اطلاق حرية الاقلام والالسنه

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنه في أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم
الفيلسوف فكانت حرية القول في أيامه أشبه بحرية الصحافة في البلاد المتعدنة اليوم
ومن أشهر الأدلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو
لبنى العباس وله فيهم قصائد هجوها شديداً واعدائه يحرضون المأمون على قتله .
ومن جملتهم أبو سعد الخزومي فقد كان يستعلي دعبل في أول أمره وكان يدخل على
المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما أراد
فيه. وكان المأمون يقول : « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل
ما يكذبه فاما القتل فاني لست أستعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل أبو سعد مرة على المأمون وأنشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجزٍ أو ما رأى بالامس رأس محمد

واردتها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن اجيئك
برأسه ؟ » قال « لا . هذا رجل فخر علينا فافخر أنت عليه فاما قتله بلا حجة فلا »
وهل يقول اعدل من ذلك وزيرٌ من ارقى وزراء الامم الدستورية المتعدنة اليوم في
صحافي طعن على أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في
العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كأنهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن
هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وأنهم
مادته واصله ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في
العقل والحزم . على أن أكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من الامويين وارضاء
للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنه والاقلام في أيام المأمون تظاهر اعداء العرب
بالطعن وظهرت طائفة الشعوية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم
« أهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في
الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . ومن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت
الحكمة وأبو عبيدة الراوية وعلان الشعوبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء
الطاعنين وقد جعلهم من بطائنه . ومن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً
في « تفضيل العرب »^(١)

(١) اقرأ تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى أكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعر من عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام. وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة الستهم من الفساد العارض لالسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والتببط ومداختهم اياهم

واتفق أنهم كانوا يمتنون برؤساء من أهل الادب وحمية كعبد الملك في زمن بني أمية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر. أما الامويون فكانوا يقربونهم في أول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت أو من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية^(١)

أما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الادب. وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً أهدها اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب. فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصري^(٢)

وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائله فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه » فلم يعرفه أحد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فأرسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابي النشاش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة أين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه^(٣)

وكثيراً ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت. وقد سأل أهل مجلسه يوماً معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعا فلم أر مثله مخذولاً

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢ ج ٣

(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) الزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدل بينهما والخليفة يسمع^(١) وأعطى
الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب^(٢)
والمأمون ولي ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك^(٣)

٧ — نفوذ الشعراء و ثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في
صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي أنها
صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء
من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدل على كثرة ما كان يصل الى أيديهم من المال
ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠٠ دينار
و ١٥٠٠٠٠٠ درهم غير الضياع^(٤) ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت
جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دينار مراراً^(٥) وكان أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك
لكنه كان متلاًفاً سمحاً . وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع
الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض
كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله الارض
وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام
والبحتري قهارة وكتاب^(٦) وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد أنه كان يمرُّ به بنوهاشم
والقواد والكتاب يسامون عليه وهو متكيء ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم^(٧)
وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب
الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهم ان يغزو
بلاد الاسلام ولم يجتريء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء
بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته^(٨)

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فحملة على
قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم
عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه^(٩) وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

(١) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٦٢ ج ١ (٣) الاغانى ١٦ ج ١٣

(٤) الاغانى ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغانى ١٦١ ج ٣

(٨) الاغانى ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتاً قالها منصور النمرى استعطفه بها فأمر بكف
السيف عن ربيعة لاجله

٨ - تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب أن فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم
شعرية ولذلك كانوا أكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله
أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في
عكاظ وأمثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . وأما في العصر العباسي
فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل أهل
الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس
ومضرب الامثال وديوان العبر ومخزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون
باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل
الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله
« رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا
بل سارا مشرقاً ومغرباً - قال الراوي « فتبعت المرأة وقلت لها والله ان لم تقولي لي
ما أراد وما أردت لأفضحك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المهابين الرصافة والجسر جليبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال^(١)

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صده لكنها يصح ان
تكون مثالا عنه . لان أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران
منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب
والمستنظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد
والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية
الفضة والذهب والبرصيني . ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول
والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقصة والاعلام وطرزوا الارضية
والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

حتى النعال والخفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالخناء على الجين والخذ والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرها . فكنت حينما توجهت رأيت الشعر منقوشاً او مطرزا او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير العرب وكانوا في زمن الامويين يقدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المداين الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات اورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد ما خلفه كل منهم من الايات ^(١) واكثر ذلك ضاع الآن ومن العيب أن تأتي باخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال أن اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعه العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يقدون على بغداد في المواسم ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يقدوا على أحد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون أو إن اكثرهم ظل في ثنايا الالهال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزراءهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

أو غرض من ينتمون إليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ
ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لأنه نبغ فيه :

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الامراء
ابو دلامة	ابان بن عبد الحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصللي
حماد عجرد	ابن منذر	محمد بن امية واخوه « ابراهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	« ابا دلف
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	« ابن المدبر
سلم الخاسر	اشجع السلمي	« جعفر بن المنصور
ابو نواس	ابو الشيص	« عقبة بن جعفر
منصور النمري		
ابو العتاهية		شعراء الشيعة
ابو تمام		السيد الحميري
علي بن الجهم		دعبل
حسين بن الضحاك		ديك الجن

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولي بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن
وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يقدون على الخليفة او الامير فينالون
الجوائز ثم يعودون الى بلدهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كلثوم بن عمرو العنابي

عمارة بن عقيل من هوازن

ناهض بن ثومة الكلابي من عامر

ونبت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع. وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم. واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم قرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ورفعة مقامهم قلدتهم الناس في اساليبهم او استنباطاتهم. وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم

بشار بن برد	توفي سنة ١٦٧ هـ	ابو العتاهية	توفي سنة ٢١١
السيد الحميري	» » ١٧٣	ابو تمام	» » ٢٣١
ابو نواس	» » ١٩٨	دعبل	» » ٢٤٦
مسلم بن الوليد	» » ٢٠٨		

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الایجاز. والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه. فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ - بشار بن برد

توفي سنة ١٦٧ هـ

تعريف

هو فارسي أصل آبائه من طخارستان أخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب ابن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب. فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار. وأعتقته العقيلية فصار مولى. ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

اصله

ولد بشار اعمى جاحظ الحدوتين يغشاها لحم احمر. وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلق والوجه مجرداً. وكان اطلع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوى العمى شاعريته لانصراف الخيلة الى التصور - ولذلك رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون

حياته

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة ^(١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن ابي عينة ولكن بشاراً اطبعهم » ^(٢) وقد عاصر او اخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فأعرض جرير عنه استخفافاً - قال بشار « ولو هاجاني لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي أهل الادب أن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠ بيت وليس منها الا ان تنف متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال إن اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري ^(٣)

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا وروي من شعر بشاره ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذوشرف الا وهو يها به ويخاف معرفة لسانه . وبشار مثل امرئ القيس فهو عندهم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشارا سبق وكان عند قيام الدولة العباسية منحاذاً للعلويين وكان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

ابا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

وفي هذه القصيدة أبيات حكيمية في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحة أو نصيحة حازم

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١

(٣) الاغاني ٣ ج ٧

بشار
وغيره

شعر الحكيم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً فان الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف امسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بquam
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نووماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الاظلامه شبا الحرب خير من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد
البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان
أمر خالد أن يكتب في صدر مجلسه وهما :

اخالد إن الحمد يبقى لاهله جمالا ولا تبقى الكنوز على الكدِّ
فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقيها أن العواري للردِّ

واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من
كتابه . ولم يدع بشار باباً من أبواب الشعر الا طرقة وأجاد فيه ومن قوله في الغزل

لم يطل ليلى ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسى يا عبد عني واعلمي انى يا عبد من لحم ودم
إن في بردي جسمنا نحلا لو توكت عليه لانهدم
ختم الحب لها في عني موضع الخاتم من أهل الدم

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعرش واحداً أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قوله :

يزهدي في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذان الا من القلب

وكان بشار من اصحاب الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون أن الانسان
مسوق لا مخير يدل على ذلك قوله :

طبعت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى واعطى فلم ارد وقصر علمي أن أنال المغيا

غزل

فصرف عن قصدي وعلمي مقصر وامسي وما اعقتب الا التعجبا
وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يغيره تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً
فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قليلاً ولذلك ظل في خاطره شيء
عليه وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً ففضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود
فلم ينفعه . فهجاه بيدين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ولم يخرج في دفنه احد
لانه مات وخضمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه
في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر
والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩

٢ — السيد الحميري

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدل على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً وقد تقدم
انه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه
٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر : وقد خمل ذكره لانه كان يسب
الصحابه بتشيعه لعلي فتحومي شعره وتخوف الناس منه . أما من حيث الشاعرية فله
طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن
الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه
من حديثه ويعدده بعضهم من طبقة بشار وانهما أشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه
كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك اياتاً وهي :

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارحُ نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا
ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »^(١) ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقر الأمر لابن
العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى مهبط عيسى فيكم آيسا
ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سمي محمد لا تعطين بني عدي درهما
احرم بني تيم بن مرة أنهم شر البرية آخراً ومقدما
إن تعطيهم لا يشكروا لك نعمة ويكافئوك بان تدم وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك واتخذوا خراجك مغنا
ولئن منعتهم لقد بدءوكم بالمتع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجواز
أن الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته واخباره في الاغاني ٢ ج ٧ وفوات
الوفيات ١٩ ج ١

٣ - أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانيء ولد في الاهواز سنة ١٤٥ هـ في خلافة ابي جعفر المنصور
وكانت أمه اهوازية اسمها جليان وكان أبوه دمشقياً من جند مروان بن محمد آخر ملوك
بني أمية انفضه مروان الى الاهواز فلقب جليان فاحبها وتزوجها فولدت له أولاداً
منهم أبو نواس وابو معاذ . وقبل أن يتجاوز أبو نواس السنة الثانية من عمره انتقل
والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة أو لعل والده مات وترك أولاده
في كفالة امهم فأسلمت ابا نواس الى عطار يتخرج عنده في مهنة العطاره ولكن نفسه

(١) الاغاني ٦ ج ٧

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلاً وصافياً للشرب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليدح ابا بيجير الاسدي عامل المنصور عليها فر بذلك العطار فلقى ابا نواس وكان جميل الصورة ذكياً فتوسم فيه النباهة فجالسه وخطبه فأنس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فهل تصحبني اخرجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « أنا ابو اسامة والبة بن الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك واقد اردت الخروج الى الكوفة بسببك لا آخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعون كل ليلة على الشرب وقول الشعر لا يكادون يفترون فيهمجون بعضهم بعضاً هزلاً وجداً ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علماً ودرية وكان يختلف الى ابي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر في نحو سيديويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « مارأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك أولى ان يقال بشار لانه اسبق

ويروى عن ابي نواس انه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلي فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامرئ القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجدير والفرزدق ومن المحدثين فلابي نواس فحسبك » وهو يعد أيضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لابي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدونه إمام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء - كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله ^(١) ولكن تقرب ابي

معنى هذا ان حليمة
عادت الى النضارة بعد
موت اوزنم راجلاً

الرواية وقد فتان ابن
القيس الشعر

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدثونه فيها
شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : الناس على دين ملوكهم . واذا
تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة
ووصف شعر أبي نواس لا يفي به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع
في وصف الحمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عديدة من
نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشرنا الى
تهتكه في جملة مهتكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه
بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيراً
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

صانعة من هذا
في احدى رايحات
عمر

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمت بي هول كل توفة هوجاء فيها جراءة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

وأخفت اهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن قوله في وصف الحمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كعنى دق في ذهن لطيف
وقوله : مدام تبدت من مقام مشرف ولما شربناها ودب ديبها
تلوح لنا أنوارها ثم تختفي الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو علي شعاعها فيطلع جلاسي على سري الخفي

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل در ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبرأخلصه السبك

وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبها الشك

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :

تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

من ذرع هذه الحرفة المود
في جنات الدنيا لعم ما يوجد في
Kéats طباعة
de to a Grecian Man

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ تدرّيها بالقسي الفوارس
فليخمن ما زرت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلائس
ويظهر أنه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم
والطبيعات بدليل قوله وفيه المام بالفلك :

الم ترَ الشمس حلت الحمللا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الحمرُ حولها كمالا
ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذارُ
سخنت من شدة البرودة > تي صرت عندي كانك النار
لا يجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون أن الشيء اذا زاد في
البرد عاد حاراً. ومن اقوالهم: «إن الصندل الابيض اذا افترط في حكة عاد حاراً مؤذياً»
ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد:

صورة المشتري لدى بيت الـ ليل والشمس انت عند انصباب
ليس زاوئش^(١) حين سار امام الـ جوت والبدر اذ هوى لانصباب
منك اسخى بما تشحُّ به الـ فس عند انتقاص درّ الحلاب
لا وبهرام تستقلُّ به العة رب بالليل رائداً في الحساب
منك امضى لدى الحروب ولا اهو ل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من

نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد^(٢) وهو مطبوع غير مرة
في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصل للجامع الديوان حمزة
ابن الحسن الاصبهاني في شعر أبي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة
ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح
(٣) المرثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الحمريات
(٩) الحمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون
وقد أهمل الناشر باب المجون لتهمته الزائد

(١) براد زاوئش (زفس) أحد الهة اليونان (٢) فهرت ١٣٩

«أخبار آداب»
الجزء الثاني من منظور

وتجد أخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦
وابن خلكان ١٣٥ ج ١ وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠
والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ - مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الغواني وهو من أبناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائح
في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم .
وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطف في المعاني
ورقق في القول وعليه يعول أبو تمام في ذلك وعلى أبي نواس ومن قوله في الوداع :

وأي واسماعيل يوم وداعه لكالغمد يوم الروع زايه النصل
فان أغش قوماً بعده أو أزرهم فكالوحش يدينها من الأنس المحل
ومن بديعه الذي امتثله أبو تمام وغيره :

اذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها
ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى :

تساقط يمانه الندى وشماله ال ردى وعيون القول منطقته الفصل
عجول الى أن يودع الحمد ماله يعدّ الندى غنا اذا اغتم البخل
له هضبة تأوي الى ظل برمك منوط بها الامال أطابها السبل
ومن قوله في وصف سفينة :

أطاب بمجدافين يعثورانها يقومها كبج اللجام من الدبر
كان الصبا تحكي بها حين واجهت نسيم الصبا مشي العروس الى الخدر
ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم أعيننا ولا نلأم يوماً حين نفترق
أقرّ بالذنب مني لست أعرفه كما أقول كما قالت قنتفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ وتجد أخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨
وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ - ابو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في أول امره يتخذ فيحمل زاملة الخنثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حدائته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال: «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم» فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا: «نعم» قال: «لا بد ان يشتري باحد القمرين رطب يؤكل فانه فمر حاصل» وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا:

ساكني الاجداث انتم

وجعل يئنه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغت الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم مثلما بالامس كنتم

ليت شعري ما صنعتم اربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخرجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل اذباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستنشدونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخبز فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها :

الا ما لسيدتي ما لها ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها

فلم تك تصلح الاله ولا يك يصلح الاله

ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له : « انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه » وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فأحرز نفوذاً عظيماً عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعمو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهناه أبو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرراً ما يتوقع

فاذن بادخاله ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد عاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى - شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر رأي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامر الرشيد ان يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فاتي بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد^(١) ولم يهيب مما يهيب له كثيرون من شعرائنا خوفاً من الرجوع عن التقليد فقد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكي ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائراً ت يدرن صرفها

هن ينتقيننا واحداً فواحداً

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لا حمد بن يوسف :

الم تر ان الفقر يرجي له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا بانقاهم وقد ازمعوا للذي ازمعوا

قرنت التفاتي بأثارهم واتبعتهم مقلة تدمع

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً اليس مصير ذلك الى زوال
ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتقد من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركة
وذكروا له ارجوزة حكيمية في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول : « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر
والذهب والتراب والحزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جمعة وهيئة
حسنة ولباقة وحصافة. وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ.
فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟ » قال : « ما اردته قط الامثلاً لي فأقول
ما أريد واترك ما لا أريد »

وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان
متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين
يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الالهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان على أن
تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد أن امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن
لعل له سبباً حملاً على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا احتص ببعض
الامراء ادعى ولاء قبيلته - فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى
ليمن وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال
له : «الم تكن تزعم أن ولاءك لليمن ؟ » قال : « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن .
وما في واحد انتميت اليه خيراً ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من
الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣
و ١٨٦ ج ٦ و ٢٤٠ ج ٨ وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست
١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ - ابو تمام

توفي سنة ٢٣١ هـ

هو عربي من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يستقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعاينه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فنظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثر فيه والسلوك في جميع طرقه ^(١)

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء ^(٢) ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الرثون والمؤننون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجلّ الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر
وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكثف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجها فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها ^(٣)
ومن مرثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتاً معاً :

لهني على تلك الخمايل منهما لو امهلت حتى تكون شائلا
لغدا سكونهما حجي وصباهما حلماً وتلك الاريجية ناثلا
ان الهلال اذا رأيت نموء ايقنت ان سيكون بدرأ كاملا

ومن مدائح قوله :

سود اللباس كأنما نسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربوط النجار
لا يبرحون ومن رأهم خالهم ابدأ على سفر من الاسفار
ولا بي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحرني بين فيها احسن

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢ (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال «تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغوم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايدٍ فاشهر مناقبه واطهر مناسبه وابن معلمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تميزاً لها عن حماسة البحتري . حملة على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه «ابن سلمة» فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح «ابن سلمة» وقال «وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان» واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائدطوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همدان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحملة الى اصبهان . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه فشهر فيهم وقد شرحه كثيرون

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار في اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابي العلاء المعري وآخر لابن جني منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها

وقد عني في طباع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً «فريتاغ» في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها

الى الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في ستغارت سنة ١٨٤٦
ولابي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة
استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر
وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلوا الكلام فيه تمتمة يسيرة . وله ديوان شرحه
كثيرون شروحا حسنة . منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ منه نسخة خطية في
المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣
وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات
الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ - دِعْبِلُ الخزاعي

توفي سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا
يخاف تهديداً . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . اصله من الكوفة وجاء
بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من
الخلفاء ولا وزراءهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه أو لم يحسن ولا أفات منه
كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاء شديداً
واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرقك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خوله واستنقذك من الحضيض الاوهد

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقتله الامين حتى تولى المأمون . ومن قوله

في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتسأ عن ثامن لهم كتب
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة خيار اذا عدوا واثمنهم كلب
واني لأعلي كلهم عنك رفعة لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيف واشناس وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم .
وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاء دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد ^(١) ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها وصبرت قلبي بعدها فتشجما
وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا فهجأ
المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك الخزيات وتبصق في وجهك الموصل
وعاديت قوماً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا
شعارك عند الحروب النجا وصاحبك الاخور الافشل
فأنت اذا ما التقوا آخر وانت اذا انهزموا أول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . وأكثر مدائح في أهل البيت لانه كان
شديد التعصب لعلي وأهله . على أنه كثيراً ما كان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر
الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم . ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

ابعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جتنا بأسرته أو واحدونا جتنا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزر
قتل واسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والجزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
إربع بطوس على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دير الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هبات كل امريء رهن بما كسبت له يداه نخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملء الارض ما اتسعت فقص مر الليالي من حواشيا
هذا أبو القاسم الثاوي بيلقعة تسني الرياح عليه من سوافيا
هبت وقد علمت ان لا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يباريا

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

أضحى قري للمنايا إذ نزلن به وكان في سالف الأيام يقربها
ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
لا تأخذوا بظلامي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتراكا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره نخل بسبب هجومه الخلفاء - والناس
على دين ملوكهم . فلم يصل إلينا من أشعاره الا شذرات مبعثرة مع أخباره في الاغانى
٢٩٠ ج ١٨ وابن خلكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١

سائر الشعراء

• في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم
لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجنا بعضهم فيما
تقدم من فحول هذا العصر ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقيين مراعاة للمقام
ورتبهم حسب سني وفاتهم

١ - أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون وسمي أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود
اللون مولى لبني اسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر
الدولة الاموية ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور
والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون محاسنه ونوادره وفيه دعاية وظرف
لا يخلو حديثه من نكتة أو ملححة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المهتمين بالزندقة
وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في
مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل أبي مسلم الخراساني مطلعها :

أبا مسلم خوفتني القتل فاتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد
أنشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم
فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقبل اقمداوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلهم الى السماء فأنتم أطهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والاتف والاذنان في الراس
ومن مداعباته ومجونه ان أبا العباس السفاح قال له « سلمي حاجتك » فقال أبو
دلامة « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر باعطائه فقال أبو دلامة « واعطني
دابة أتصيد عايبها » قال « اعطوه » قال « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » قال « اعطوه
غلاماً » قال « وجارية تصالح لنا الصيد وتطمعنا منه » قال « اعطوه جارية » قال
« هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « أعطوه داراً
تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة
جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال : « وما الغامرة ؟ » قال : « التي لانبات فيها »
فقال « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني أسد »
فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه
ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

ألم تعلموا ان الخليفة لذي بمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى مع العصر دائماً فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله مالي نية في صلاتهم ولا البر والاحسان والخير من أمري
وما ضره والله يصلح أمره لو ان ذنوب العالمين على ظهري
فضحك المنصور وأعفاه . وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠
ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ - حماد عجرد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة
العباسية بعد أن نادى الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع
ابن أياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجنأ ظريفأ خليعأ وأدرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا
أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيرأ ولا صغيرأ ولا عالماً كان أو خليفة . وقد عاصر الامام أبا
حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة وبلغ حماداً أنه يتنقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعدوقم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام نأخذها ونعطي في أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي
بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد لبشار
شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . أما بشار فله من الهجاء أكثر من الف بيت جيد
وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل
بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره أنه هجا حفص بن أبي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص
أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون
ويتأشدون فاخذ حفص بن أبي بردة يطعن على مرقس ويعيب شعره ويلحنه فقال
له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كثيل العود عما تتبع
تتبع لحنأ في كلام مرقس ووجهك مبني على اللحن أجمع
فاذناك أقواء وأنفك مكفأ وعيناك ايطاء فانت المرقع

وقد سبق أبا نواس بالتغزل في الغلمان . من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخي ان دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيت به يقلب عينيه لا قصرت عن زجري
فاقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لا قصرت عن لومي وأطبت في عذري
ولكن بلاي منك أنك ناصح وانك لا تدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد أنه شب بزينة أخت محمد بن سليمان بن علي
وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومريض في تنقله
حتى مات في شيراز ودفن فيها

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء

٣ - مروان بن أبي حفصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالي أصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة وولد له غلام سماه مروان. وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالي بني أمية وقد حارب معهم . وكان شجاعاً مجرباً فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لهم في بطن خفان اشبل
فجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار
منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه فقال
له المهدي « من أنت ؟ » قال « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة »
فقال له المهدي « ألسنت أنت القائل » :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا يزيد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال ولا نوالا
قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا . . جروا برجله »
فجروه برجله حتى أخرج . فلما كان من العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء
— وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وأنشده قصيدة
في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقأها
شهدت من الانفال آخر آية بترائهم فأردتم ابطالها
فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مائة بيت فامر له عن كل بيت
بالف درهم فقال ١٠٠٠٠٠ درهم وهي أول مرة نال شاعر هذه العطية^(١)

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدي . ثم مدحه بقصيدة بائية أعجبتة فاعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالا كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتعم بالاكل عكس مروان^(١)

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ - سلم الخاسر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق . نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرحاً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيات الفاتك اللهم
فجعله :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور
فبلغ بيته بشاراً فنضب واقسم الا يدخل عليه ولا يفيدته مادام حياً فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى . وكان اول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمائة درهم فقال سلم : « ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة » قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فإلي دواء مما الاقي من حسان النساء
حتى تخلص الى المدح بقوله :

(١) الاغاني ٣٩ ج ٩

كم كربة قد مسّني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء
فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالى عليه الجوائز من
الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس أحسن الملابس كما تقدم .
وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار
وتجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج ١

٥ - منصور النمرى

هو عربي من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن
عمر والعتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته . وعنه اخذ ومن
بحره استقى . وقدمه العتابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى
استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين
العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل منهما في هلاك صاحبه
وكان مسكن النمرى في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه
ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرّه ان يمدح بنفي
الامامة عن علي والطعن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابى حفصة بسبب ذلك
فسلك مذهبه ونحاه نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح
بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
نحوّض كالاهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقلاً ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله :

فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعطاء ولو قليلاً . وقد ذكرنا الايات التي
قالها في مدح الرشيد من المبالغة^(١) وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة^(٢)

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :
 لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
 وتجد اخبار المنصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧

٦ - علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه
 ثم ابغضه لانه كان كثير السعاية اليه بدمائه واذا خلا به عرفه أنهم يعيونه ويشلونهم
 فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة
 وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابي حفصة في هجاء آل ابي طالب وذمهم
 والاعراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى امام . خاب ذلك من امام
 امام من له عشرون الفاً من الأتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد
 الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً
 فلما نزل قال في ذلك قصيدة نخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ا لاثنين مسبقاً ولا مجهولاً
 نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى حبسي وای مهند لا يغمد
 او مارأيت الليث يألف غيله كبرا واوباش السباع تردد
 والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
 والبدر يدركه السرار فتنجلي ايامه وكانه متجدد
 والغيث يحصره الغمام فابرى الا وريقه يراع ويرعد
 والزاعية لايقوم كعوبها الا الثقافة وجذوة تنوقد
 والنار في أحجارها محبوة لا تصطلي ان لم تثرها الازند

وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن أجمل ذلك قوله في وصف حفلة

بعد صيد فرسوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت
 ولم تحمها الادغال منا وانما
 بمستروحات ساجحات بطونها
 ومستشرفات بالهوادي كأنها
 ومن دالعات السنأ فكأنها
 فلينا بها الغيطان فلياً كأنها
 وتجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلكان ٣٤٩ ج ١

٧ - حسين بن الضحَّاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً
 فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره قبول ورونق فهو من المتفتنين
 وله معان جديدة في الحمر كان ابو نواس يأخذها عنه. ومع ان ابان نواس مات سنة ١٩٨
 والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لكن ابن الضحاك
 عمر كثيراً

وهو اول من نادى الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد
 مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من أهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة
 فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :

هلاً بقيت لسد فاقتنا ابدأ وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابدأ الا في الطريق « ولم يعاقبه على ما كان من هجائه
 له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون
 وله في الامين مرات جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل
 له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خير الوفود مبشر بخلافة خصت بهجتها ابا اسحق

وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق

اعطته صفقتها الضمائر طاعة قبل الاكف بأوكد الميثاق

سكن الانام الى امام سلامة عف الضمير مهذب الاخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق
وله ابيات في التغزل بالغلمان اقتبس بعضها ابو نواس^(١)
وتجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون
سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ - أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية
الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كليله ودمنة شعراً
باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان . وقد نقله ابن المقفع
نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتاب أدب وحنه وهو الذي يدعى كليله دمنه
فيه احتمالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

فاعطاء يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاء الفضل خمسة آلاف دينار ولم
يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لكن المنظومة ضاعت ولم
يبق منها الا هذان البيتان . ونقله شعراً ايضاً آخرون سندكهم عند ذكر هذا الكتاب
وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم
في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابو نواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي
جعله فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة ، واكثر اعدائه كانوا يتهمونه بذلك
وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت اباناً يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطرب
وكيف يصلي مظلم القلب دينه على دين مان ان ذاك من العجب

واغتم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا « ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فماذا نضع لآتائي الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعرب
اعم رسول الله اقرب زلفه لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايها اولى به وبعهده ومن ذاله حق التراث بما وجب
فان كان عباس احق بتلكم وكان علي بعد ذلك على سبب
فابناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين
ومجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ - ابن مناذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في اول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيد طلباً للرزق فاغتم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن الربيع للرشيد . « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان ينشدك قوله فيهم » فامرهم فاعتذر فألح عليه فانشد القصيدة التي مطلعها :

انا بنو الاملاك من آل برمك فيا طيب اخبار وياحسن منظر^(١)

وكلها اطراء في البرامكة ولما فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيد ان يلطم فلطموه وامر فحبسوه وخرج لا يلوي

على شيء . فلقبه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه
واعذرني » ولم يعد ابن منذر يرى خيراً بعد البرامكة
وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ - الرقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل
الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصلون
به على الشعراء ويروون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً
لخدمته وتوياً باسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم
فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثرت رثاهم . من ذلك
قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي
ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تمام
لطفنا حول جذعك واستلما كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمك السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥١٥

٤ - أشجع السلمي

هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد بالهامة ومات ابوه فجاءت به أمه
البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان
الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به
قيس . ثم اتصل بالمرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى
الرشيد فاعجب به فأثرى . ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نبيك صاحب
شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ بذوى النفاق وفيه أمنٌ المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ مال المضيع ومهجة المستسلم

جعل الخُطام بأف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان الأشدة تغشى البريَّ بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحم لا يتقى والسيف تقطر شفرناه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالامر تكرهه وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢
واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك
وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

زيد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا
غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا
العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

ديك الجن

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان وأصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده
في اول الاسلام . ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على
العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا وايامهم
ولادة ابراهيم واسمانا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين
في شعره وكان مقيماً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره
منتجعاً بشعره ولا متصدياً لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل
البيت وله مرات كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح
به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه
وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة
والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام مبتكرة فباكر الكاس لي بلا نظرة

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وزوجها
وله فيها تشبيب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ايضاً في اسودِّ جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها عجباً ولكني بكيت لحصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك
الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

ياطاعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفيتها
قد بات سيني في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعلها وما وطىء الحصى شيء اعز علي من نعلها
ما كان قتلها لاني لم اكن ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الايات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله
جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضله فيه على ابي تمام^(١) . وتجد اخباره في
الاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير
او كبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعمكوك انقطع لابي دلف . ومطيع بن اياس
انقطع لجعفر بن المنصور . وابو الشيص لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ - مطيع بن اياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية
وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

(١) العمدة ١١٩ ج ٢

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره. وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبل الشعراء وكانوا ثلاثة: مطيع وحماد وعجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخبر فيها وما هم فيه بيغداد من القحط ايام المنصور. وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منه قوله:

حبذا عيشنا الذي زال عنا حبذا ذاك لا حبذا ذا
اين هذا من ذاك سقياً لذا ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زادهذا الزمان عسراً وشرّاً عندنا اذ احلنا بغذاذا
بلدةً تُمطر التراب على النا س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخرب ذوالعر ش باعمال اهلها كلواذا

وكانوا يتهكون في تعشق الغلمان ولعلمهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء. وفي الاغاني حديث عنهم نخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر. ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها:

اهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الج ود حوى عانيه من كشب

وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و ٨٥ ج ١٣ و ٨٦ ج ٢١

٢ - أبو الشَّيْص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية. وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته. وكان ابو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس فحمل وانقطع الى عقبه بن جعفر بن الاشعث الحزاعي وكان اميراً على الرقة فمدحه باكثر شعره وقلماً يروى له في غيره. وكان عقبه جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم. وكان من وصف الحمر وله مقدره على الغزل. واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله:

يانفس ابكي بادمع هتن وواكف كالجمان في سنن
على دليلي وقائدي ويدي ونور وجهي وسائس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرني والظلام في قرن
ومن اقواله في الغزل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمٌ
اجد الملامة في هواك لذيدة جباً بذكرك فليمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فاهنتُ نفسي صاعراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به . وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :
فما جازه جوذٌ ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لامن السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشامني الذي يلحاني

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر
والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ - العكوك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية
من اهل بغداد ولد في الحرية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن
برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف . وقد
استنقد شعره في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد
في تفضيلها وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من
ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين يديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً
حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس
يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بأبي من زارني مكتماً خائفاً من كل شيء جزعا
 زائراً نمّ عليه حسنه كيف يخفي الليل بديراً طلعا
 رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعاً
 ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧
 وتجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر
 والشعراء ٥٥٠

وهاك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل
 منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخباره :

٤ ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي المغني اخباره بالاغاني ٦ ج ١١
 ٥ محمد بن امية واخوه علي « ابراهيم بن المهدي » ٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠
 ٦ محمد بن صالح « ابن المدبر » ٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل
 سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً
 للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس
 ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ - صالح بن عبد القدوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكام الشعراء منهم
 بالزندقة قوي الحججة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقص على
 الناس ويعظهم . وبلغ الى المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد
 رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له
 المهدي ألسنت القائل ؟ :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لا تترك اخلاقك حتى تموت » فامر به
فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن
احسن اقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه
وانَّ من ادبته في الصبا كالعود يستقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنيك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبذول
ونربما افتقر الفتى فرأيتيه دنس الثياب وعرضه مغسول
وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :
انست بوحدتي ولزمت يدي فم العز لي ونما السرور
وأدبني الزمان فليت اني هجرت فلا ازار ولا ازور
ولست بقائل ما دمت حياً اقام الجند ام نزل الامير
وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
وله قصيدة حكيمية اخلاقية بدیعة مطلعها :
المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٢ - العباس بن الأحنف

توفي سنة ١٩٢ هـ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يحيش في خاطره
واكثره في الغزل ولم يتجاوز الى مدح او هجاء . وله مذهب حسن ولدياجة شعره
رونق ولعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم
في مذهب واحد لا يتجاوز . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لاجزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كل خير لساني
نمّ دمعى فليس يكتّم شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيُّ فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي املي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

وقوله :

اتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لايضمر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر

والشعراء ٥٢٥

٣ - محمد بن بشير الرياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من أهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجاً ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً . وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخات بستانه وفيه بقل من غرسه فأكلته ثم دخات داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة^(١) مطلعها :

لي بستان انيق زاهر ناضر الحضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها ويتخلل ذلك مجون لطيف . واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً^(٢) مطلعها :

يارب رب الراحين عشية بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع

وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يقدون على الخلفاء او الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ - كلثوم بن عمرو العتّابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والحدم يتفقذونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامرهم فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك ؟ » قال « دابة ابلى عليها الى رأس عين » فقال « يا غلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لاحاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فضى معه فعدل به العتّابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل منك على هذا ؟ » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فحلى نساءه وبني داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة اعناقها بالقلائد

أسرك أني نلت ما نال جعفرُ من العيش او مانال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني بغصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تحيني منيتي مطمئنة ولم اتجشم هول تلك الموارد
ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء
والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ المنصور العمري
أخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ - ربيعة الرقي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو
ضيرير مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخل ذكره
بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال
جوائزهم . وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس
برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة .
وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر احد في عطائه هجاه
وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس - وذلك ان الرقي
مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل « لا » وانت مخلد ما قالها
ما ان اعد من المكارم خصلة الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتك عقالها
فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه الف دينار فاعطى الدينارين
الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهب ضياعاً كذبت عليك فيها وافترت
فانت المرء ليس له وفاء كاني ان مدحتك قد زينت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهم بقصاصه فقص عليه
الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته
فتغير عليه وامر للرقي بثلاثين ألف درهم وبغلة واوصاه ان لا يذكر العباس تعريضاً

ولا تصريحاً . واتفق للرقي ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض
قدماته الى العراق فمدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يامعن يا ابن زائدة الكلا ب الذي في الذراع لافي البنان
لا تفاخر اذا فخرت بأبا ثك وافخر بعمك الحوفزان
ومن غزله ابيات يغنى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدلت خلة سواها وهذا الباطل المتقول
لحي الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدل

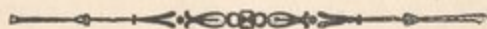
وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدوي في هذا العصر حفيد جرير
الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء
العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة
يأخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٣٨ ج ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة : هو من عامر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة
فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم اليانا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم
يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين
والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن
جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن
النديم في الفهرست مئات من اولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات
وعدة عائلات تسلسل الشعر في اعقابها كال ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عينة
المهلبى وآل المعدل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير
الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحو مائة شاعر منهم بشار له الف
ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ واقل الى ٥٠ او
٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى
اليوم الا القليل فمن أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدأ بصفحة ١٥٩ من الفهرست



العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديدده. اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم . وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه « اديب »^(١) وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه^(٢). ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنشور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في أول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدرج وتفرعت وصار كل منها علماً له احكام مستقلة جرياً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة . وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »^(٣)

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها أو يروونها ويبدلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسمع منهم أو لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر . فالمنصور استقدم شرقي القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب^(٤) فشب المهدي على حب الادب والادباء

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٣) معجم الادباء ١٧ج ١ (٣) العمدة ١١ج ١

(٤) طبقات الادباء ٤٢

فألف له المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين
الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرها^(١) ثم عهد الى
الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة^(٢)
فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي
في حضرته ويأمره ان لا ينزعج لهضته^(٣) وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد
شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي
عبيدة^(٤) او يدعو احد الرواة اذا ارق او سجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سره
حديثه اجزل عطاءه الى مائة الف درهم او حوالها فضلاً عن الهدايا وغيرها^(٥)
وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة^(٦) . وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً
بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلقات ويعرضهن على
الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن^(٧) واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء
والامراء فالبرامكة تنشيطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفصل بن الربيع فاضل
بين الاصمعي وابي عبيدة^(٨) اما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب اهل الادب
رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشغولين عن الادب بالسياسة او الشعر او الخطابة
وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكهم الفطرية
عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاطامم الذين دخلوا الاسلام من
اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى
قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق .
فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية اوها
واسطة الاتصال بين الحضارة والبداءة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها
جعلت قصبتهما في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من
قبائل العرب نزلوها في صدر الاسلام وانزلوا مواليهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي
طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالي بني اسد
النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

- (١) الاغاني ٧٦ ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) الزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير الفاظهم واساليبهم . واكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي . ولم يأخذوا شيئاً عن الحضرة ولا من البدو المجاورين - فلم يأخذوا من لحم وجدام لجاورتهما اهل مصر ولا من قضاة وغسان وايااد لجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لخالطتهم تجار اليمن . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السننهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يجادثون العرب ويستطلعون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في اول الامر لا يرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك اجراً . ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها أو في ضواحيها مخفيين لمشاقة الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التمسك من املاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفي بالاحذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها - بدأوا بذلك من اواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

- ١ ابو اليبداء الرباعي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يؤخذ عنه العلم
- ٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضرة وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة

- ٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
- ٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي
- ٥ ابو سوار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة
- ٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفسد على آل سليمان بن علي وعنه
اخذ ابن المقفع الفصاحة
- ٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة
- ٨ شبيل بن عرعة الضبي : من خطباء الخوارج وعلماءهم مات بالبصرة
- ٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباعي
- ١٠ ابو ثوبة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
- ١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة
- ١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة
- ١٣ نصر بن مضر : من بني اسد
- ١٤ ابو محم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه
ويفتخم كلامه ويعرب منطقته
- ١٥ ابو مهدي : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون
- ١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل
- ١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
- ١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
- ١٩ البهدي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي
- ٢٠ جهم بن خلف المازني : عاصر خلف والاصمعي
- ٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
- ٢٢ ابو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان
- ٢٣ الفقعسي : راوية بني اسد وصاحب ماثرها وأخبارها أدرك المنصور ومن
بعده وعنه اخذ العلماء ماثر بني اسد
- ٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء
- ٢٥ ربيعة البصري : بدوي محضر وكان راوية
- وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد اسمائهم (١)

ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعرابيين كتب القوها في اللغة اكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن اولئك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة الى البادية فكثرهم من الموالي منهم :

١ اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلام

٢ الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ ابو المنهال : احد الرواة

٤ خائف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسعود اليه

٥ الزبيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي الزبيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي. ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم او اخبارهم. ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقربين من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرها وربما كان بين الذين ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون اخبار العرب وآدابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة هم عمدة الرواة وأمة الناس في تلك العلوم وعندهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام - واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ - قتادة بن دعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الالكه من أهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بني أمية تسيخ بياضه لسؤال عن خبر أو نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من شهرته بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة (١) لكنه لم يخلف أثراً . وهو من اهل العصر الاموي لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١

٢ - ابو عمرو بن العلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشرف العرب ووجوهها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دفاتره الى السقف ثم تنسك فاحرقها (٢) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وعامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الاقله » (٣) وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن روايته وادبائه لكنه لم يخلف أثراً مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ - ابو عبيدة معمر بن المثنى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . واخذ عنه جماعة من

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١

(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني. وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتها وعرفت فارسيهما (١) وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن (٢) وروى اشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملئ شعر كثير بثلاثين دينار (٣) وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرا به . وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والف كتاباً في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخياً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب ويوتات العرب واياهمم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقائض جرير والفرزدق : منها نسخة خطية في المكتبة الحديوية وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة (٤) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء : منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء
ومجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ - الأصمعي

توفي سنة ٢١٤ هـ

هو عبد الملك بن قريش من قيس وقد اشتهر بكنيته « الاصمعي » ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوي » . وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضروهم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون . وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال : « اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فليل يطربهم بنغماته » وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) المعجم الفريد ٤٧ - ٩٣ ج ٣ (٣) الاغانى ٢٨ ج ٨
(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

١٢٠٠٠ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد عاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة
 اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره اليها فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

- ١ الاصمعيات: هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليسبك سنة ١٩٠٢
 - ٢ رجز العجاج: رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٣ كتاب اسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨
 - ٤ » الابل » في بيروت سنة ١٣٢٢
 - ٥ » خلق الانسان » » » (٢)
 - ٦ » الخيل » » فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
 - ٧ » الشاء » سنة ١٨٩٦
 - ٨ » الدارات » في بيروت
 - ٩ » الفرق » » فينا
 - ١٠ » النبات والشجر » » بيروت
 - ١١ » النخل والكرم » » » سنة ١٩٠٢
 - ١٢ » الغريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
- وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خالكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ - أبو زيد الأنصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة أخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللغة وكان سيويوه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغانى ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعاً معاً باسم الكنز اللغوي

يريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة ايضاً ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا ابو زيد (١) فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه «النوادر في اللغة» على ان اكثر رواياته عن العرب البحت (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم وابو عبيدة اجمعهم (٣) وجاء أبو زيد بقداد حين قيام المهدي (٤)

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت

٣ كتاب اللب : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦ - ابو عبيد القاسم بن سلام

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقہ وكان ديناً ورعاً متفتناً في اصناف علوم الاسلام والقراءات والفقہ والعريية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن احد في شيء من دينه . وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والقراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقہ وهو اول من الف غريب الحديث . واتقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنته ابن طاهر وقال : « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طالب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهر ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١

(٤) الفهرست ٥٤

- ١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالآستانة
 ٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية
 والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في
 تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا
 بالآستانة وفي المكتبة الخديوية
 ٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالآستانة
 وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري
 ٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين
 ٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك
 وتجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية
 فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه او حفظوه — وهم غير الذين يختص
 كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم
 كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياح اخبار الباقين
 منهم في أثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن رواهم في الحرب والغزو على
 عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة
 عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع
 الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فأخذوا
 يطلبونها في اماكنها ويتقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار
 الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في
 صحف عند عباد الحيرة من ايام التماذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى
 سنة ١٥٦ هـ وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم
 ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمفضل الضبي وغيرهما وهذه تراجمهم :

١ - حماد الراوية

توفي سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمى من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المؤلف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه وكان بنو أمية يقدّمونه ويستزرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً : « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال : « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين أو سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لاتعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر » قال : « كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحك في هذا » ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً . فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزينا على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم ان هفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكي وقال : « عكذا كان اخي رضي الله عنه (١) » . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاطاني ١٦٩ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك وهو الذي جمع المعلقة التي بين ايدينا وجمع اشعارا كثير القبائل واكثر شعراء بني أمية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب - فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم (١) لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وإنما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده وتجد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ - المفضل الضبي

توفي سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذ عنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقر به وأدناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنه — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

- ١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في لبيسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري
 - ٢ كتاب الامثال : طبع في الآستانه سنة ١٨٨٢
- وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ - خلف الأحمر

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة وأصله من فرغانة لكنه حفظه كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها . وهو أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (٢) . وكان ضئيلاً

(١) الاغاني ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهو معدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن
العرب وما قيل فيها من الشعر
وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفهرست ٥٠ والشعر والشعراء ٤٩٦ والعقد
الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة
فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين
اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر
أحد أولاده ان اياه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كما جمع اشعار قبيلة واخرجها
للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مائة سنة وكان
يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق
الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء
وتجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨
هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعندهم
أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي
عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر
بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم .
وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الاشعار أو
الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرئ
القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم
صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول
وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات
ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما
محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ - محمد بن سلام

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري كان عالماً بالشعر والاخبار فألف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين وذكره صاحب الاغانى مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه «المزهر» ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء . وهو أول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ انه ضاع لانا لم نجده في مكاتب اوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها، ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص^(١) وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات ، تبدأ بنقد الشعر ثم في أول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة

الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشمخ بن ضرار وليد بن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد

الخامسة : خداس بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد الخبل وتميم بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) نهنا الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فشكره على صدق رتبته في خدمة

آداب اللغة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
 الثامنة : عمرو بن قتيبة والنمر بن توبل واوس بن ٠٠٠٠ وعوف بن عطية
 التاسعة : ضياء بن الحارث وسويد بن كراع والخويدرة الذبياني ؟ وسحيم عبد
 بني الحسحاس

العاشرة: أمية بن حرثان وحرث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شاس
 واطرف واليهامة والبحرين وذكر فحول كل قرية
 وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخلط وغيرهم

الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة

الثالثة : كعب بن جعيل وعمر ابن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء
 الرابعة : نهشل وحמיד بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء

الخامسة : ابو زيد الطائي والعجير السلولي وعبد الله بن همام ونفيع بن لقيط
 السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياذ الاعجم وعدي بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن العذير وشيب بن البرصاء وقراد بن حنش
 التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وابو داود الرواسي ؟ والفحيف
 وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار
 وتجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ - ابن ابي الخطاب

صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه
 تبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية
 وصدر الاسلام في كتاب سماه «جمهرة اشعار العرب» في سبعة مجاميع فصانها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن واقوال الشعراء وفي الشعر والشعراء واقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صرور الرواة

واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم — فهل نقلوها عن ثقة؟ وهل هم صادقون في رواياتها؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سببان يتصل احدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقبضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمع بن نيرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فاتاه بعض الرواة وسألوه عن شعر ابيه فلم يرو بعضه حتى ادركوا المصنوع منه (١) لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباراً لتشابه القافية والوزن والمعنى فكثير من اشعار كثير تنسب لمجنون ليلي . وكذلك سار العشاق لتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا احدثت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن الحدادية الياثية التي مطلعها :

سقى الله اطلاقاً بنعم ترادفت بهنّ النوى حتى حللنا المطاليا

فان بعضهم يدخل اياتاً منها في قصيدة مجنون ليلي (٢) التي مطلعها :

تذكرت ليلي والسنين الخواليا وايام لا أعدي على الدهر عادي

وقس على ذلك امثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض

القصائد تنسب الى عشرين شاعراً أو اربعين

تعمد الزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فمنهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الايات على لسان بعض الجاهلين وينسبها اليهم لمطمع مالي أو غرض آخر . وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الايات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد المصيبة لقومه الجينية على القيسية . فنظم حماد ابياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز أبو جدّه . فأورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على اسد بن كرز فأواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها - الى آخر الحديث (١) ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال - قال ابن الكلبي: « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سأني عن جدته أم كرز وكانت امة بغياً لبني أسد يقال لها زينب فقات له هي زينب بنت عرعر بن خزيمة بن نصر بن قعين فسرّ بذلك ووصلني » (٢)

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال: « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له: « وكيف ذلك أيخطيء في روايته ام يلحن » قال: « ليته كان كذلك فان أهل العلم يردّون من اخطأ الى الصواب ولكن رجلاً عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فأكده له بالامتحان بين يديه فاعترف حماد بايات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فأمر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم القصائد الغر ويدخلها في دواوين

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لاميل

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه. وأدخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان تمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في أواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس فقالوا: «انت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة» ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

ومن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي: «ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتها» فقال: «لا أدري» ف قيل له: «اكذب» فقال «كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة» فشاع ذلك وتحدثوا به (٢) حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب. وقد قال محمد بن سلام الجمحي « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرا به (٣) »

على أن المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر بينوا اما كن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً (٤) في الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا. وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه «التنبيهات على اغاليط الرواة» ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للمبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي أصل علم الادب فالتأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة فان اصحابهما كانوا في الاصل من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذلك

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢

(٢) المزهر ٢١٠ ج ٢

(٣) المزهر ٨٥ ج ١

(٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي اديب البصرة والكوفة. وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم ابو الاسود واضعه . وابن أبي اسحق الحضرمي أول من علله . وعيسى بن عمر النخعي أول من ألف فيه . وهارون بن موسى أول من ضبطه وسيدويه أول من اجاد في تأليفه . ثم قدم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوانينه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . وأهل البصرة أرسخ قدماً وأوسع علماً وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاءها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحوي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من أهل الكوفة وقد علموا ابناء الخلفاء، ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر . ونحامل الامين على سيدويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي بشأن النحلة والزبور وهي اشهر من أن تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك ابو الاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء أو القراء . فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتكاتف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عليه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن (٢) فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله أي ذكر أسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا أن تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادباء ١٦

اول من ضبط قواعده وalf فيه

أما ضبط قواعده فأول من أقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو ولكنه لم يؤلف فيه . وأول من ألف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً يتقعر في كلامه فيقال انه ألف كتابين احدهما الجامع والآخر الاكمل ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (١) وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا أن بعضهم كان يميل الى النحو أكثر من سواه وربما دخل في جملة ما يكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد أتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلتقي فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى ألف فيه سيويوه كتابه المشهور — وهاك اشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ — سيويوه

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب سيويوه بالفارسية ومعناها راحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقہ ثم طلب النحو وأخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه وألف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

زيد الانصاري وكان يسميه الثقة فكان لذلك وقع جميل عند اهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشتهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيبويه . وكان ابو العباس المبرد اذا اراد أحد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له : « هل ركب البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني : « من اراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح » وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سنأ منه ، وقطرب وكانت له معها ومع سواها مناظرات

وكان أهل الكوفة في أثناء ذلك قد هموا بالنحو فاخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه فبنع معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ وأبو جعفر الرواسي ابن أخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

اما كتاب سيبويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغيرها وقد طبع في باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الكتاب ٧٢٠ فصلاً ، يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبذل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من أحرف الجر . وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتضغير والمقصود والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيادات وفي الوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للابنية حتى قالوا أصل الكتب المؤلفة في النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لا تنقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقد الف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتاب

الاستدراك على كتاب سيوييه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية
الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا
الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير
واخبار سيوييه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١
والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ - معاذ البراء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الا تي ذكره ولم يخلف
مؤلفاً وانما ذكرناه لانه اول من وضع التصريف (١)
وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ - الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني اسد وأصله من فارس . أخذ
النحو عن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي
الخليل بن أحمد فأخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء
العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرض
بسيوييه وكتابه حتى كانت مسألة الزنور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه
الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدوي بصحة رأي سيوييه لكن
الامين تعصب لمعلمه حتى اضطر سيوييه الى الفرار في حديث طويل . وalf الكسائي
عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في
لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥
واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثار وابو الحسن
الاحفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة
نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد
كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

٤ - الفراء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب وأتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرأحهم فتذهب » وقال ابو بكر بن الانباري : « لولم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمي من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جوارى وخدماء للقيام بما يحتاج اليه وصير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود » في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » فخرنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه أخذ يملئ كتاباً آخر في المعاني أطول وأوسع نخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطالحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال : « لقد أردت منعهما ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصرأ في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أي ٦٠٠٠ صفحة كان يملئها على تلامذته بدون كتاب لأنه كان قوي الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة أقام بها ٤٠ يوماً

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

- ١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
- ٢ بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . وأكثرهم ألفوا في النحو وضاعت كتبهم وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السكيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الا تي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب وأخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرأته في الدفاع عن علي ابن أبي طالب وآله . وذلك أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه : « يا يعقوب أيهما أحب اليك ابني هذان أم الحسن والحسين » فأجاب : « ان قبراً خادماً على خير منك ومن ابنيك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

- ١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي وفي مصر سنة ١٩٠٧

- ٢ كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يبحث في أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢ فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لا يزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في الاعصر الآتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

زريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الأدباء من الكتب في ألفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها أنها كتب في علم الحيوان أو التشریح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب هممة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أما كنهه اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين أيديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومسامريه فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « أنا لها يا أمير المؤمنين » فقال : « ما عندك : » قال : « أتف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غيبة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . نفع . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين أنا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « أما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم أنا أقولها ثلاثاً » فقال له : « لك ما تمنى » فقال : « أتف . أسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . ثمرة تينة . ثغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذوق . ذراع . رقبة . رأس . ركة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرمة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق . عاتق . غيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا .

كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغوغ . ناب .
 نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يافوخ ، ثم نهض
 مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال : « والله ما يزيد عليها اعطوه
 ما تمنى » ثم أجازته وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

أوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة وحمل الآخريين على التأليف
 فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلاً لا يبحث في
 طبائع النخل والكرم ومعالجتهما أو زراعتهما وإنما هو يبحث في أسماء أنواعهما وأغصانها
 وما يتعلق بها من اسم أو فعل . وهاك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :
 « من صفار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودي والهرء
 والفسيل وإذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من خسيس النخل
 والعرب تسميها الراكب . فاذا قلعت الودية من أمها بكرها قيل ودية منغلة . فاذا
 غرسها حفر لها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي
 الفقير يقال : فقرنا للودية فقيراً . والاشأ من صفار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد انسغت .
 ويقال للسعفات اللواني يابن القلبة « العواهن » في لغة أهل الحجاز . أما أهل نجد
 فيسمونها « الخوافي » وأصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرفافة . والعريضة
 التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فاذا صار للفسيلة
 جذع قيل قد قعدت وفي أرض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو
 الجريد عند أهل الحجاز واحده جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب
 الليف واحده خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على
 أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع
 مفردات اللغة فيها حسب معانيها تمييزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجتمع بها الالفاظ
 بحسب هجائها على ترتيب الأبجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي
 والنخص لابن سيده وهي أتم مما فعله الاصمعي وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد
 بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

وخلق الانسان وأشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق
وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والحيال ونحوها عول واضعو المعجمات في
ضبط الالفاظ ومعانيها فضلاً عن تحريمهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ - الخليل بن أحمد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد أهل
الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه . وكان من تلامذة أبي
عمرو بن العلاء . وعنه أخذ سيويه . وعامة الحكاية في كتاب سيويه عن الخليل
وكما قال سيويه « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل .
وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم
وقد علمت أنه أول من ضبط اللغة وهو أيضاً أول من استخراج علم العروض
الى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ مجزاً . ثم زاد فيه
الاحفش مجزاً سماه الحُجب . وقد ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات
وَاستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجراته وهو يوقع بأصابعه
ويحركها - رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل:
لو كنت تعلم ما أقول عذرتني او كنت تعلم ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذرتني وعلمت انك جاهل فعذرتك
وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه
من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال : « كل
فما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول : « فما
أبلغه » فقال :

أبلغ سليمان أبي عنه في سعة وفي غنى غير أبي لست ذا مال
شحاً بنفسي أبي لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محال
وأعم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل
الاصمعي وسيبويه وسواهما من الأدباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما
كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على
احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان
فالشفيتين وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه : ع ح ه
خ غ ق ك ج ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي فكان الخليل
حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبدأون بأحرف
الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الج
للهمروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم
لأبي عمرو الشيباني ومثلها كتاب الغين وكتاب الميم ويستفاد من ترتيب الحروف
في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالسكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء ألفاظ اللغة في أيامه فقد نقل عنه السيوطي انه
أحصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ٤١٢ ١٢ ٣٠٥ كلمة . ولعله
أراد ما يمكن نكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي
والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي
الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه أن
عدد الالفاظ العربية ٤٠٠ ٦٦٩٩ لفظ لا يستعمل منها الا ٥ ٦٢٠ لفظاً والباقي وهو
٦ ٦٥٣ ٧٨٠ لفظاً مهملاً . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ	المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	٤٨٩	٢٦١
١٩ ٦٥٠	٤ ٢٦٩	١٥ ٣٨١
٣٣ ٤٠٠	٨٢٠	٣٠٢ ٥٨٠
٦ ٣٧٥ ٦٠٠	٤٢	٦ ٣٧٥ ٥٥٨
٦ ٦٩٩ ٤٠٠	٥ ٦٢٠	٦ ٦٩٣ ٧٨٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك أن الزيدي عني بعدد ألفاظ اللغة ما عناه الخليل وأن كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذلك فانك تجد أكثرها مهملاً فهو يريد بالمهمل الألفاظ التي يمكن أن تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم أهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيدويه . ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن القديم في الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثمانى واربعين (واثنتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب أنه في خراسان بنجزائن الظاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل أن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الظاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في أصله وحجج القادحين فلترجع في المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل أنهم حسدوه لما أتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل - وكل سباق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب أنه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو وأكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصري فخالف ما جاء في كتاب سيدويه مما رواه سيدويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . فألف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد الله بن محمد الكرمانى وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة . وفضلوه أيضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة

يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده ابو علي القالي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللأسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية

أما مختصره للزبيدي فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين وأخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة
وذكر له ابن التديم من المؤلفات أيضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في اوربا بما ينسب الى الخليل :

- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| ٢ كتاب في معنى الحروف | في مكتبة ليدن ومكتبة برلين |
| ٣ شرح حرف الخليل | » » برلين قطعة منه |
| ٤ جملة آلات العرب | » » ايا صوفيا بالاستانة |
| ٥ قطعة من كلام علي أصل الفعل | » » اكسفورد (بودليان) |
- وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢
وابن خلدون ٤٨٢ ج ١

٢ - مُورَج السَّدُوسِي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشائخها
وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ طبقات الادباء ١٧٩

٣ - البضر بن شميل

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو ابو الحسن البضر بن شميل النيمي البصري من تلامذة الخليل أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وابي الدقيش وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فنزح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيما وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادير لأنه كان يجالسها وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث أخذ الثعالبي عنه وأخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ - قطرب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة أخذ عن سيويوه وجماعة من أهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

- ١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين
- ٢ ما خالف فيه الانسان البهيمية : منه نسخة في مكتبة فينا
- ٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطاني
- ٤ مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل : سهام وسهام وسهام ولكل منها معنى وهو اول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب اوربا الكبرى

٥ - ابن الأعرابي

المتوفي سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من أكابرة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته وكان ريبياً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

- ١ كتاب أسماء البرر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي
- ٢ كتاب أسماء الخيل وأنسائها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدنية أو الجاهلية ومن الحضارة أو البداوة . وللعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر واللغة أكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام مقصوراً على مكاتبة الخلفاء وأمراءهم وقوادهم أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي - وأهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة ومستودع أسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخريهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم (١)

فلما صارت الدولة الى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتوعدت أغراض الخلفاء - كما بينا ذلك في مكانه أصاب الانشاء تغيير يلام ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدنية والانغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

أول نمار الرخاء

فلا نشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع الى نمار الرخاء والترف وأهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأثقاً في العبارة نزوعاً عن أسلوب البلغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الایجاز والاعجاز . وأخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والامثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والتفخيم وخصوصاً في ما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم أو يستعظونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد ابن برمك توخى فيها التسجيع فضلاً عن الاطراء فقال في مطالعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد المناجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الخلاجل من المستكين المستجير اليائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فانعم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق الي تعضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد فاست بحبي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك ونحمت بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى أشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها . فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تنميق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ أقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك العصر وإنما أمام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقه أسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب لتعود كل منهم مصطلحات عامه وفته كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي أسلوباً خاصاً ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار أصحابها الى تحدي أساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

التوقيعات

وظل الميل الى الابهجاء والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سيما في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضجات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام وهم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم أن يكون اقتباساً من آية أو حديثاً أو حكمة مشهورة أو من الشعر حكيم . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن ابى وقاص عامل العراق كتب الى عمر الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوقع عمر في أسفل الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضاً لعمر بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيك كما تحب أن يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم فوقع في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الانبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء أمر به ولم يعطوا اثمانها فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى » وأمر باعطائهم الاثمان . وشكا أهل الكوفة الى أبى جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكى عيلة : « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في أسفله : « استبدل بكتابك والا استبدل بك » وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه فوقع في الكتاب : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داو جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك منه ما لا قبل لك به ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوكك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعزلت »

الانشاء المرسل أو أسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة في الوصف أو الموعظة أو الفلسفة - وهو غير أسلوب المراسلات . فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كيلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بأدابها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آباؤه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كيلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في المواضع الادبية باللغة العربية

وكتاب كيلة ودمنة أقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الأدب يغلب على ظننا أنه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الأخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء يمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من عاية الكتاب المشاهير - مما يدل على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاول منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب

مفسر الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بالانشاء الرسائل في هذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر - وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبدالله لما ولاه المأمون الرأفة ومصر وما بينهما أوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب : « ان العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثمانى صفحات

ومجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفي سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها شديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد . وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل أنه خلف بعد موته ٨٠٠٠٠٠٠٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال : « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك »

ومجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في ألف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم أن كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفى كاتب المأمون وحמיד بن مهران كتب البرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم (١)

الكتاب المؤلفون

١ - عبد الله ابن المقفع

توفي سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في بادئ امره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال - أهمها :

١ - كتاب كلیلة ودمة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه السكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنام ووخامة عاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على ارباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب أولاً باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبث فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية أي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وأفاض في التحريض على مطالعته . فلما اطاع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكان علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقله ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والآخر فارسي والآخر عربي

فالابواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور . الحماسة المطوقة . البوم والغربان القرد والغليم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والطائر فزة . الاسد وابن آوى . البووة وبلاذ وبارخت . السائح والصائح . ابن الملك وأصحابه . والفارسية ثلاثة : مقدمة بروزيه وباب بعثة بروزيه وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية تعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحماسة والتعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى ألسنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والملمقية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلاً ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كلية ودمنة في العربية مراراً من أواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كلية ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كلية ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال : « نقله أيضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازته بألف

دينار» وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحي الشاعر انه نظم كلية ودمنة شعراً لم يبق منه الا بيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه « كتاب نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة ، كان منه نسخ مشتمة في الاسنانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والتعلب ومالك الحزين ^(١)

ثم نظمه ابن مماتي المصري المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبدالمؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه « درر الحكم في امثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كلية ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع ^(٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كلية ودمنة

٣ كتاب الدرّة اليتيمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في انصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب : القاريء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تجبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد يتندر اليه شبيته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شبيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكي باشا . ولها تسمية لابن العربي سماها : « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة وله كتب اخرى ادبية واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انوشروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نقلاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . ومجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٢ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستيمساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانه الحكمة له . وكان حكيماً فصيحاً شاعراً شعوبياً المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضلته ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلبة وغفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عاينها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الرحمانى له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . والمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشوتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبد مكي اسمه سعيد ابن مسحج كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسحج بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية وألقى منها ما استقبحة من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبع منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريص ومعبد وحكم الوادي وفايج بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصللي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملة كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً بأصول . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس والعرب فألفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلاً عما استنبطوه من الألحان أو اخترعوه من الآلات

ففي العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب أصله فارسي وصار مولى لعمر بن الزبير . نشأ في المدينة وكان أبوه فقيهاً أسلمه الى الديوان فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد ولم يكن في أصحاب معبد أحدق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه أصناف النغم وحصر به أنواع اللحن وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده وقد ضاع هذا أيضاً

ومن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن ابي منصور الموصللي فألف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم ننق على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحان التي حدثت فضلاً عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استنبط ألحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصللي فأصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون

في نسبته إليه . وألف يحيى بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت أهدها الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين الف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنه والافكار أخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحن واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم المهدي أخو الرشيد - وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الأمر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يتس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً وهو يعد من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته - وإنما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « أنا ملك أغني كما أشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين وأصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فأخذوا في الرجوع اليه .

على أن ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أو الغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وسيأتي ذكره (١)



ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و ٣٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بني العباس. وكان أئمة الفقه في المدينة فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام الفرس لانهم أنصارهم وأهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة (١) وفتيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في امر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوهها وباعوا محمد بن عبدالله من آل علي . وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس . فعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه (٢)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلا في العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث . فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته أنه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه . وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به (٣) ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لأن الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذي سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه وهم المعروفون بأهل الرأي أو القياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم أهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين اهل الحديث وأهل الرأي ، وزعيم الاول مالك وأنصاره من اهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد وعرفوا بأصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الحنفي ما وجدوا خبراً أو أثراً . وبدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدت لي مذهباً ووجدت خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ والولؤلؤي وابن سباعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ و ابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم . وقد سماوا أهل الرأي لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار ^(١)

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطايي الشافعي فرحل الى العراق وخالط أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكا في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ - أبو حنيفة النعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت مولى بني تيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازاً يبيع الخبز وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً كثيراً الخشوع دائم التضرع فاتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه أراد أن يوليه القضاء فحانق انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصالح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلاً تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلام نعمة . وكان قوي الحجة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دويماً وجهارة وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعاً وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدواً له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي الفاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية
٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال
٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس
٥ الخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرها

٢ - مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو ابو عبدالله مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ هـ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية وكان مالك بن أنس ورعاً تقياً اذا اراد ان يحدث توطأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه
ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ
الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلاً عظيم
الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الحياض ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب:

١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي
ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ هـ
وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطلوسي ولا بن العربي والقرطبي والزرقاني
وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني
المتوفى سنة ١٨٩ هـ ورد فيه على ما يخالف مذهب مالك وطبع في لكتناو الهند سنة
١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لافائدة من ذكرها

٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي منها نسخة في الاسكوريال
وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا
وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ - الامام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبدالمطلب
بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة
٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره
الآن مدفن العائلة الخديوية . وقدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة
ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها وما زال الى ان
توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية
اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل
العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقر له بالسبق الاصمعي
الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد : « ما رأيت رجلاً قط اكمل
من الشافعي » وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال : « يا بني كان
الشافعي كالشمس للدين والعافية للبدن » وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

- استبطنه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومائة مؤلف لم يصل اليها منها إلا :
- ١ كتاب الام . رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدأ هكذا : « أخبرنا أبو علي الحسين بن حبيب بن عبد الملك في دمشق سنة ٣٣٧ قال أخبرنا الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات
 - ٢ السنن المأثورة . في مكتبة كوبرلي بالآستانة
 - ٣ أصول الفقه . هي رسالة في الاصول طبعت بمصر
 - ٤ مسند الشافعي بالحديث . منه نسخة خطية في بني جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير
 - ٥ قصيدة تنسب اليه : في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ - الامام احمد بن حنبل

توفي ٢٤١ سنة هـ

هو الامام أبو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيبان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وكان من أصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله : « خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفاقه من ابن حنبل » وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة ينحضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي وأهم مؤلفاته الباقية

- ١ المسند في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطأ في أكثر مكاتب أوروبا والآستانة والمكتبة الخديوية وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مساند أولها مسند أبي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة
- ٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين
- ٣ « الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

أصحاب الأئمة

ونبع طائفة من تلامذة أولئك الأئمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر إلا ثلاثة: اثنان من أصحاب أبي حنيفة والثالث من أصحاب مالك وهم

١ - القاضي أبو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ وهو من أهل الكوفة وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً أخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب أبي حنيفة وإن يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس : المهدي والهادي والرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال « يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فقصدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه . فلما كان أول يوم أتته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا ؟ » قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي » فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال « استمتع بها » فنظرت فإذا فيها مائة درهم وقال لي : « الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فاعلمني » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استعنت وتمولت » اهـ والباقي من مؤلفاته

كتاب الخراج . فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي . وطبع بمصر

سنة ١٣٠٢ هـ

وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ - محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق وأصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا إنه « إذا تكلم خيل إلى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما أحداث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات جمّة أشهرها :

- ١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي
- ٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة
- ٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية ويني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب أوروبا والآستانة والخديوية
- ٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره
- ٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية
- ٦ كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ - عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخمة على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة، منها نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها. وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ ج ١
ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر. ومنهم
من لا ينسب الى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ له كتاب الخراج
طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المساميين دونوا فقههم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل
انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قباهم. فان
الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستيان وذلك بعد تأسيس
الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني
وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم
بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه. فالامام أبو حنيفة
زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى
ابن حنبل ٥٠٠ ٠٠٠ حديث أو أكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم. فأبو حنيفة ألف
كتاباً في الحديث خاصة. وأما مالك بن أنس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم
ذكره. وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن. وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو
مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف باسمه
وقد ذكرناه

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الاسلامية أكثرهم في
المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك أشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها:

ابن جريج من الموالي	١٤٩	بغداد	الواقدي مولى	٢٠٧	بغداد
الاوزاعي عربي	١٥٧	بيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١	اليمن
سفيان الثوري عربي	١٦١	البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢١٤	مصر
زياد البكائي	»	١٨٣	الكوفة	»	» مسلمة عربي
ابن عياش	»	١٩٣	»	»	»
سفيان بن عيينة مولى السمان فارسي	١٩٨	مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣	المدينة
		٢٠٣	البصرة		

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . وبلي هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الآتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا : « أخبرنا عبدالله الثقة بن المأمون الهروي قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا أبو عبدالله محمود ابن محمد الرازي قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال . . . » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسابين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا في العصر الآتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا إلا فيما دعيتهم اليه دولتهم وأغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه . ولم يصل اليها منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم اللدود أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على أن التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فأهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ
عن العرب وبلادهم

على انهم لما أخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق
الاماكن التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية
لأنها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الحجاج اختلفوا في البلاد هل
فتحت عنوة أو صلحاً أو اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين أخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ - الشيخ ابو اسماعيل

أقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد
ابن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة
الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه مفصلاً في باب الانشاء من عصر
الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع
خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ - الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد
ابن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه
المأمون وولاه القضاء بشرفي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون
يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه، لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة
ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هاك ما وصلنا منها :

- ١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي، طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦
في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢
- ٢ كتاب فتوح الشام : وهو أشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل
والمبالغات لكننه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح
وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات
ونمايق بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضاً في مصر سنة ١٨٨٢ هـ وغيرها

- ٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين
 ٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧
 ٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥
 ٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
 ٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها. وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه. واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها. وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة
 وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨
 ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في اماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومتينها فجرم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدھا والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولھا وثقاتھا ومطعونھا ومردودھا والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات. ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسايين والاطباء حتى التدماء والمغنين وغيرهم وألقوا في كل باب غير كتاب. ولذلك كان المسلمون اكثر امم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكتاب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صاحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل اليه . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ - ١٣٢٥ هـ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهو روفتش وليبرت وسترسين وبروكلمن . ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدرين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدرأً واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والفا صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازيه وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطة وبرلين والاسنانه وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابتها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ - هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسبة عالماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد بن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدوداً بين المفسرين والنسائين . توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . أما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلاً صفحة (٩٦ - ٩٨) وقسمها إلى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وبعضها في أخبار الاوائل . وبعضها فيما قارب الاسلام من امر الجاهلية وغيرها في أخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها إلا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

- ١ جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها
- ٢ نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام: منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفيينا
- ٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة
- وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسائين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له أيضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره هشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : إعلان الشعوب وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولاً عنهم في كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبري
والبلاذري وياقوت وأبي الفرج صاحب الاغانى وغيرهم

— ❦ —

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي » ، وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في أواخر القرن
الاول وفي النصف الاول من القرن الثاني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي
لابن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى
سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل
على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في أوروبا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة النبي كاملة فأقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك
بن هشام . وقد اتفقوا على صحتها وفيها أيضاً نسب النبي وكثير من أخبار الجاهلية
وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على
الظن أنها دخيلة ، وذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى
ابن اسحق ويسألونه ان يدخاها في كتابه في السيرة فيفعل . أما السيرة أو المغازي
فهي أقدم المصادر التي بين أيدينا وأوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣ هـ

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو أبو محمد عبد الملك بن
هشام بن أيوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو أصله من البصرة
وأقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي
روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهي الموجودة في
أيدي الناس . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

أما ابن اسحاق صاحب السيرة الاصلية فهو ابو بكر محمد بن اسحاق بن يسار
المطلي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن
عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين النمر وكان ابن اسحق ثبناً في الحديث والمغازي

فسمع عن أكثر العلماء أتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صدها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١ وقد طبعت السيرة مراراً أضبها طبعة غوتجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستفيد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلها عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفري من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالآستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

المختصر

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر إلا وآتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . ولييان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه وأكثر مؤلفيها من أبناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد ان ظل المستشرقون دهرأ يأسفون لضياعتها وألغوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة انفقوا ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعتي علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلاً عن الترجمات وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع ألفاظها وأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي وأهل الذمة وبعض العرب وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلي وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه وما يستلقت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب وجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمثات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لاحدهم مئات من أسماء الكتب التي ألفها ثم لا تجد منها إلا كتاباً أو بضعة كتب كما رأيت في أخبار المدائني وهشام الكلبي وأبي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء على أن هذا العصر أحسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه . وستكون الاعصر الآتية أحسن حظاً منه

العصر العباسي الثاني

او المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

تاريخ

(العباسي الثاني)

بدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الأتراك فيه على أمور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الأتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم^(١) وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغراه ابنه المنتصر (أوهم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل أمر الأتراك استفحالاً عظيماً - ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء أنه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول إنه يعيش وكم يملك » قال : « مهما أراد الأتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك^(٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شر قتلة فأنهم جروه برجله الى باب الحجره وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده^(٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس^(٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله أنهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠

(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

بقباب خشب - فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في أيدي الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوه في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس أولادهم وأقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عشير لهم في اثناء الحجر الا الخدم والحصيان فألفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف بالاكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الحصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التواني في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاة العهد اذا أفضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا الى الاستكثار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى ألفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والحصيان ١١٠٠٠ خدام من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيريه في أموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها طوع ارادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده (١) ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . قال ذلك الى طمع العمال والولاء بأعمالهم فأخذوا يستقلون فنشبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول
الديلم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وانشؤوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه
وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره اثر في آداب اللغة ولا سيما في الآداب التي هي من آثار
النفس أو اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل الناغون فيها كما سترى . وفيه قيدت
الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعنة فضعفت الحرية وعمد الناس الى التستر
بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمر تمت فيه وهي:
١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت اليها وقد وضعها أو
ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (٢)

٢ فيه ظهر اثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتنوعت معاني بعضها
حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو
الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة
ال عمران . ومن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب (١) وسنين ذلك في مكانه - وراجع
كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية (ترجمة لا تزال باقية الى
الآن) ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية (قبل الاسلام)
وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام (ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن
المأمون على يد احمد بن عبد الله بن سلام (١) ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها
فصولاً من أخبار الخليفة (٢) وربما ترجمها سواء أيضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء
الى الآن . واقدم ما وصل اليها من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا
سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون
على مصر وكان اسراييليا من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين
مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

في العبرانية وأخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الآستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تتراغلوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليفلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جينا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فنه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسوية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم مالا ريجية منهم بمكان^(١)

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعابيرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على ان الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نزر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنيات^(٢) . ولكن المشهور ان اول من فتح البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ١

واتبع هؤلاء ابو تمام والبحثري . ثم ابن المعتز فانهى البديع اليه وختم به (١) فانه الطّف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ نبعت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله ابو بشر من السريانية الى العربية . واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتي ذكرهم في باب الأدب . أما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ما كان من الطعن في أعداء الخلفاء والامراء

٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضييا من الريحان

قضب من الريحان شابه لونه اذا ما بدا للعين لون الزمرد
وشبهته لما تأملت حسنه عذارا تدلى في عوارض أمرد

وقول البحثري :

ورق تغني على خضر مهدلة تسمو بها وتمس الارض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

أشهر شعراء هذا العصر

قد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التي اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبية والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم . ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر

أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلام ذلك العصر وهم :

١- ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

لارفة

*

①

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج أو جورجيس ويعرف بابن الرومي نسبة إلى أصله وهو من موالى بني العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لأنه أتى بكثير من المعاني لم يسبق إليها . ومن مميزات أنه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلاً ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لأنه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فهدس إليه ابن فراش فأطعمه خشكناجحة مسمومة وهو في مجلسه فلما أحس بالسهم نهض فقال له الوزير: « إلى أين » فقال: « إلى الموضع الذي بعثني إليه » فقال له: « سلم على والدي » فقال: « ما طريقتي

على النار » وأتى منزله أقام فيه أياماً ومات . ومن بديع شعره في المديح قوله

المنعمون وما منوا على أحد يوم العطاء ولو منوا لما مانوا

كم ضن بالمال أقوام وعندهم وفر وأعطى العطايا وهو يدان

وله أيضاً وقال ما سبقني أحد إلى هذا المعنى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا بدون نجوم

منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والآخرى رجوم

ومن معانيه البديعة قوله

واذا امرؤ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما اطال رشاهه

وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق إليه

اذا دام للمرء السواد واخلفت شيبته ظن السواد خضابا

فكيف يظن الشيخ ان خضابه يظن سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً

سألتك في امر فجدت ببذله على أنني ما خلت انك تفعل

والزمتني بالبذل شكراً وانه علي من الحرمان ادهى واعضل

لئن سرني ما نلت منك فانه لقد ساءني اذا انت ممن يؤمل

ومن نظمه في الحكم

ارى فضل مال المرء داء لعرضه كما ان فضل الزاد داء لجسمه

فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كجسمه

ومن بديع معانيه

دهر علا قدر الوضع به وترى الشريف يحطه شرفه
 كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه
 ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمثني فيطلب صحة المعنى ولا يبالي
 حيث وقع من هجئة اللفظ وقبحه وخشوته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه
 سهولة ومثانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على
 الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت .
 منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة
 بخط قديم كتبت فيها الابيات في نهريين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في
 على بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي
 الشطر محي والمعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدبر وغيرهم ممن عاصروه . وله
 اهاج شديدة ومدائح بليغة وقد ابدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب
 وله مرث مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت
 اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى في مكتبة
 طوب قبو وفي نور عثمانية بالاستانة . ومن الغريب ان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد
 واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ والفهرست ١٦٥

٢ - البحري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنسج من أعمال الشام وتخرج بها . ثم
 خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من
 الاكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهرأ طويلاً ثم عاد الى الشام . وله أشعار كثيرة
 يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد أدرك أبا تمام بجمص وعرض عليه شعره في
 جملة من كان يأتيه لهذا الغرض . فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس
 فلما تفرقوا قال له : « أنت أشعر من أنشدني » وأوصى به أهل معرفة النعمان فصار اليهم
 فاكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على أبي تمام . وسئل
هو مرة : « من أشعر أنت أم أبو تمام » فقال : « جيده خير من جيدي ورديثي خير من
رديثه » وسئل أبو العلاء المعري : « أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحراني أم المتنبي »
فقال : « المتنبي وأبو تمام حكيمان وأما الشاعر البحراني » على انه امتاز بقوة التصور
فانه كان يصور اخلاق الممدوح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره
في المتوكل قصيدة مطلعها

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر
وآلام في كمد عليك وأعذر
ويقول منها

بالبر صمت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تظفر
فانعم بيوم الفطر عينا انه	يوم أغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل	لجب يحاط الدين فيه وينصر
خاننا الحيال تسير فيه وقد غدت	عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تيمد بثقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى	طوراً ويطفئها العجاج الا كدر
حتى طلعت بنور وجهك فأنجلي	ذاك الدجى وأنجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فأصبح	يومي اليك بها وعين تنظر
يمجدون رؤيتك التي فازوا بها	من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهلوا	لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لا بسأ	نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع	لله لا يزهي ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما	في وسعه لمشي اليك المنبر

ظل البحراني في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة
النامة حتى قتلا فرجع الى منبج وقد تحدى أبا تمام في البديع وبعده أماماً له ويقدمه
على نفسه كما رأيت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة
خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام،
وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويمحرض على حفظ أشعار اصحابها ويستلم الطارئين
عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفترأ ضخماً الحجم عليها كان لا يفارق

بجلسه ولا يملأ أحد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه . فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله أو يورده في مراسلاته كما هو وكان البحرى بخيلاً وسخ الثوب ومن أفض الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقري يهز رأسه مرة وكشفه أخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول: «أحسننت والله ما لكم لا تقولون أحسننت؟» فضجر المتوكل منه وما زال شعر البحرى غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه أيضاً علي بن حمزة الاصهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزءين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعتر والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحرى

وللبحرئى حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس . وهي تمتاز على حماسة ابي تمام من أوجه كثيرة: منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحرى من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والحضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاها . كان البحرى جمعها لشبية هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحرئى أيضاً كتاب معاني الشعر . وألف الحسن بن بشر الأمدى المتوفى سنة ٣٧١ كتاباً انتقادياً في الموازنة بين ابي تمام والبحرئى تعصب فيه على ابي تمام وجد في طمس محاسنه وتزيين مردول البحرئى . طبع في الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ وأخبار البحرئى في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ والاعاني ١٦٧ ج ١٨ والفهرست ١٦٥

٤ - ابن المعتز

توفي سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين . تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضى بالله أقام يوماً وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري الشهير يومئذ . فاخذ المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى أهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

الا من لعينٍ وتسكابها تشكي القذاة وتنكابها
الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون باهدابها
لكم رحم يا بني بنته ولكن أرى العم أولى بها
به نصر الله أهل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها

وعارضه صفي الدين الحلي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

ألا قل لشرك عباد الاله وطاغى قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد . ومزيتة على الخصوص بما في شعره من أنواع البديع كقوله في وصف مايح :
وجاءني في قيص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقتت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي على الاثر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا مثل القلامه قد قدت من الظفر
ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة يضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابيه قوله :

خاملي قد طاب الشراب المورداً وقد عدت بعدالنسك والعود احمد
فهاناً عقاراً في قيص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شبك فضة له حلق يبيض تحل وتعتقد
وقفتي من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدرأ على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القرينة ومن مزاياه الابداع للمعاني . وكان أيضاً من الادباء والعلماء ثقفاً على

المبرد وثلعب وغيرها . واشتغل بالعلم والادب فألف فيها بضعة عشر مؤلفاً
وصلنا منها :

- ١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
 - ٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال
 - ٣ كتاب البديع : وهو أهم كتبه بانظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه
نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
 - ٤ كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت
وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين
كتاب فصول التماثيل في تبشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانتغ الالماني
بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦
وفعل ذلك أيضاً لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢
- وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرها . وكل
منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع
بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطة
وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات
٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ - البسامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام أيضاً. وهو غير
ابن بسام الشامتري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم. وكان
شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير. وقد هجا أباه واخوته
وسائر أهل بيته فن ذلك قوله في أبيه :

هبكِ عمرتِ عمرَ عشرينِ نسرأً أترى اني أموت وتبقي
فلئن عشت بعد موتك يوماً لأشقنَّ جيب مالك شقأً
وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمنله هذا لعمرك قبره مهودوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رمياً
وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار الاحوص
وعمر بن أبي ربيعة لم يصفنا خبرها
وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ - الخبز أرزي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان
يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد
أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله .
ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليبي هل أبصرتما أو سمعتما باكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لي أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه يدور بافلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر وطوراً على تعريض ففاحة الخد
وله أيضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكنا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج ٢
وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ - ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن علي كان ضريباً من أهل النهروان جيد الشعر واشتهر
بقصيدة رثى بها هراً والمقصود بالثناء غلام كان له قتله علي بن الحسين . والقصيدة من
أحسن شعره مطاعها :
يا هراً فارقتنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد

فكيف تفك عن هواك وقد كنت لنا عدةً من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكانها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مدد وأنت تلقاهم بلا مدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ والدميري ٣٣٧ ج ٢
ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ
وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في
أول أمرها تشيع وتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك. وعشقت
سعيد بن حميد وكان منحرفاً عن اهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها أشعار تقيسة
منها أمثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه
بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو
واللغة والاعراب والامثال معاً. وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه استقل في
ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة. ففي هذا العصر اخذ علم اللغة
بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على
الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار
والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فتكلم عن كل منها على حدة
وقبل التقدم الى ذلك لا بد لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة :
الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل
أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر
وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية
وسطاً بين الحضارة والبدو. واستبحر عمران بغداد وغابت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وأخربها . والامر الثاني أن نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها . على مثال ماشاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول أوفاهما ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

سميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء أهمها :

١ / انه كان في العصر الماضي مقصوراً على النقل بلا تصرف وانما كان همُّ الاديب أن يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وأبو عبيدة . فاصبح يتدبر تلك المرويات ويبنى عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرها . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوها عن اليونانية (١)

٢ / ان ما ألم بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حول همِّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فآخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ / آخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف مواضعها وما آخذها في كتاب واحد أو بضعة كتب وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد القريب

٤ / تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة : (

ارباء العصر العباسي الثاني

١ - الجاحظ

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من أهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده أسود اللون جمالا وعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الادب . نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سرٍّ من رأى . فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في اواخر أيامه بالفالج النصفى فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرص بالمقاريض ما أحس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة إلا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول : « وما تصنع بشقِّ مائل ولعابِ سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه تحداها بها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلتقى العلم على ابي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل النلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعة لها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد وإنما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الإرادة . وإن العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها . وإن الله لا يدخل أحداً النار وإنما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وإن القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلاً ومرة حيواناً . وإن الله لا يريد المعاصي وأنه لا يرى . وأن الله لا يريد بمعنى أنه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وأنه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وإنما الاعراض تتبدل والجواهر باقية . ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هاك أهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبيين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنسك والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحنين وأحاديث ونوادير وغير ذلك وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب أخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمسكائد : » » » » كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في اوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك : في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والحريف : طبع بالاستانة سنة

١٣٠٢ وفي مصر ٤٤ صفحة

- ١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة: على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن
 ١١ المختار من كلام الجاحظ: وحكم علي: بمكتبة برلين
 ١٢ رسالة في بني أمية: في المكتبة الخديوية
 ١٣ ثلاث رسائل: طبعت في ليدن. ١١ ورسالة طبعت بمصر
 ١٤ كتاب طبقات المغنين: ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)
 ١٥ كتاب التاج: في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر
 وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ - السُّكْرِي

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي. وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد. فن الافراد الذين عمل السكري أشعارهم أي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والحطيئة ولبيد ودريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب والاعشى والمهلهل و متم بن نويرة واعشى باهلة وبشر بن أبي حازم والمتلمس والمسيب وحמיד بن ثور وحמיד الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه. وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً. ومن القبائل التي جمع السكري أشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو أبي ربيعة وبنو ربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين أيدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها. ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرئ القيس. وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً. أما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل الينا مقتضباً مع شرح قليل. ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن. وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء «كتاب شرح اشعار الهذليين صنعه أبو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه « وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من اشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري - ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في لندن سنة ١٨٥٩ وله - ٣ : شرح ديوان جران العود النيمري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله - ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ - ابن قتيبة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وبتقف على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متقناً بالعلوم صادقاً فيما يرويهِ مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبي فالف في أكثر قنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهالك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلطان ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السؤدد ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مائة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاسنانة وهو اول كتاب في نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادير الحوادث والاديان واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو اخبار الشعراء وكلها واحد. وهو يحتوي على تراجم «المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله» ويدخل في ذلك أخبار أشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظر وانتقاد. وقد وطبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب: يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم. وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبترسبرج وقد طبع في ليسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة أشهرها شرح البطلينوسي المتوفي سنة ٥٣٩ هـ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقضاب

٥ الامامة والسياسة: هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة او يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الحديدية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧
٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوية (مجلد ٤)

٨ تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « » « » « » « » ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الحديدية

١١ كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر

الكبير » في ١٢ كتابا . وفي مكتبة اياصوفيا بالاستانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعي كتاب « الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الحديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست ٧٧

٤ - ابن أبي الدنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله . وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الا :
١ الفرج بعد الشدة : مجموع اخبار اتفقت لانا من اصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ نحو فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ أول من ألف في هذا الموضوع . ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : ٣ ذم الملاهي : منهما نسختان خطيتان في برلين

٤ فضائل عشر ذي الحجة : في ليدن

٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

٦ اليقين : في كوبرلي بالاستانة ٧ الشكر : في نور عثمانية

٨ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ - قدامة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي كان ابوه نصرانيا واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩-٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان ادبياً شاعراً ألف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع وسنعود اليه .
طبع في الاستانة سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال
٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ - الوشاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء أحد الادباء الظرفاء في
اواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له
صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الا كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من
المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت
شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول
ضايفة فيها كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزناير والمناديل
والستور والوسائد حتى النعال، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان . فهو فريد ببابه
ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه
كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفریح المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في
مكتبة برلين . وتجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ - ابن عبد ربه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد . أصله من موالي
بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من
المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعاً . وانما اشتهر بكتابه
العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي اي سرد القصة شعراً وهو قليل
في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس
حسب السنين وكان معاصراً له وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد . أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب واحواها أو هو كالحزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع . وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فساها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب «العقد الفريد» ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ. والثاني في التعازي والمراثي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطالبين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الاخوان والنساء والمنتبئين والممردين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا يجد مثلها في كتب التاريخ. فاخبار زياد والحجاج والطالبين فيها حقائق يمز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعريض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عطاء الملوك نقلا عن كتب ضاعت اصولها . فالعقد الفريد خزنة فوائده وهو من أمهات كتب الادب الثقة . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وليس له سواء

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ وبيتمة الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ - أبو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقاً بتصنيف الكتب وألعب أهل زمانه في الشطرنج وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اما كنهه كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحري . والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتابا سماه « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم » قال ابن النديم: « انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء وأشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز ». ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب أسماءهم على أحرف الهجاء وأكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائهم الشعراء كمحمد بن ابان وابان ابن حمدان بن ابان وغيرها . واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي وتوفي قبل ان يتمها . وذلك بخلاف عما ذكره ابن النديم وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و١٥٦

أدباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار واداب منه نسخة في باريس . وابراهيم بن ابي عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين . وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوريال . (ولابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق في ليدن



الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ما كان من اسلوب الانشاء في صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى في العصر الاموي الى عبد الحميد الكاتب فاطال الرسائل وأدخل التحميدات في فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين في ذلك العصر كما يظهر في ترجمة كليله ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيل ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنق في الانشاء في معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوع عبارته تنوعاً خاصاً كما فعل في كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله في اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امرأ استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل . وعملاً انجح بغير حزم . فلا يفرنك ذلك ولا تستم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين »

وقد يتفنن في تقطيعه كقوله : « وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم اجساداً ، واوفر مع اجسادهم احلاماً . واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختياراً »

وفي كل حال لا بد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل او المقالات الادبية ونحوها . فانشاء الكتب لا يزال مرسل بلا سجع او تقطيع مثل كتاب كليله ودمنة . واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدر عنها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكتاب يتأنق بها ويبدل جهده في تنميقها كما فعل ابن المقفع في كتابه الدرر اليتيمة التي أتينا بالمثاليين المذكورين منها - فالتنوع الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء في الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لا يشقُّ لهم عبار امامهم الجاحظ وضع اسلوباً في الانشاء تحدوه فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولا قافية . او هو سجع لا تشترط فيه القافية كقوله « جنبك الله الشهة . وعصمك من الحيرة . وجعل بينك وبين المعرفة سبياً وبين الصدق نسياً . وحب اليك التثبت . وزين في عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »
 وقد أدخل الدعاء حشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :
 « وليس حفظك الله مضره سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم
 اطالة الخطية . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجية . وعن الحصر من فوات
 درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولى على بيانه العجز .
 وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »
 وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على
 منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابه وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفاني
 جامع ديوان أبي نواس فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كاسلوب الجاحظ - قال في
 مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك . وزادك من أفضل ما
 خولك . وأحسن ما منحك . ولا أعدمك جميل ما عودك . أن أصرف لك عنايتي الى
 عمل مجموع من شعر أبي نواس . يشتمل على كل أشعاره . وجل أخباره . وقد أسعفتك
 أيديك الله بطلبتك وأجبتك الى ملتمسك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغاً للمعنى وأشد تأثيراً في النفس
 حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الایجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب
 الى مروان حين بلغه تلكهوه في بيعته : « أما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى
 فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم
 يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدى ويحذر وينذر . . »
 ولا يؤخذ من ذلك أن تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة من كل
 وجه فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به . ولكن
 ابناء العصر الواحد تتشابه اساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسرون على
 خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام اهل
 الادب وقدة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كساد كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها
 من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة
 والطبيعات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب: « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر أهله . قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب العجز . واعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذلك . فأين هممة النفس واين الانفة من مجانسة الهام . وأي موقف اخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقراً عليه يوماً كتاباً — وفي الكتاب (ومطرنا مطراً أكثر عنه الكلاً) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلاً؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضرطي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلاً عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت أكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكين . ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . اما الناشئ منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدياد . والمتأدب في عنفوان الشباب ناس او متناس ليدخل في جملة المحدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع يبع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشديد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر . وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد المالكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل ادبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كاس وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالكذب وهو لا يدري من نقله .. الخ «
وتكثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو
بالاكثر من اللفظ الغريب فالحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . واتي مثلاً على ذلك بقول
يحيى بن يعمر لرجل خاصته امرأته فقال له: « أن سألتك ثمن شكرها وشرك انشأت
تطلبها وتضللها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط :
« والله ان كانت الاثيابا في اسفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه
كان يستقل والادب غض . والزمان زمان . واهله يتحلون فيه بالفصاحة . ويتنافسون
في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم
مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل
للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابن علي القالي . وتزيد عليها العقد الفريد
لابن عبد ربه والاغاني لابن الفرج الاصفهاني واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة
وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع .
ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين .
وسيجتو خطوة اخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدُّهم من النحاة لانهم اشتغلوا في النحو وانما
جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اکتفوا من النحو بكتاب سيديويه ولم
يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرايحهم الى ما دعت اليه المدنية من
الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكليات . وان كان
قد ألف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقا على كتاب سيديويه
— فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى
الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر
ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

أشهر النحاة في هذا العصر

١ - أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من أهل البصرة . أخذ عن أبي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يسانا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الوراق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « أظلم ان مصابكم رجلاً * اهدى السلام تحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لأبي عمر الجرمي المتوفي سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ - أبو العباس ثعلب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو أبو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ وألف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة . وقد ألف انتقاداً عليه أبو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط . منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ ابي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفي سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً أبو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

- الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالآستانة . وقد كتب الزجاج نقداً
عاليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
- ٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله ان قواعد الشعر اربع أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ
واستخبارٌ وأنى بأمثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول. منه نسخة خطية في الفاتيكان
وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة
- ٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
- ٤ « » الاعشى : في تلك المكتبة أيضاً
- ٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهرة وخزانة الادب. منه نسخة خطية في
مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة
أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢
والفهرست ٧٤

٣ - أبو اسحق الزجاج

توفي سنة ٣١١ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السمري بن سهل الزجاج . سمي بذلك لانه كان يخرط
الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقله ذات يده . ثم طلب
بعضهم معلماً من المبرد فدهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فكان
ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هاك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جد
تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره مانصه : « قرأه علي أبو جعفر
احمد بن محمد مسبار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين
مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء أعضاء الانسان ومنه نسخ خطية

في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالآستانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات

الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ - ابن الانباري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من أهل الانبار. وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ. كان أبوه ابو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو فتلقي ابنه العلم عنه وعن ثعلب. وكان يضرب به المثل بسرعته الخاطر وحضور البديهة. وكان قوي الذاكرة يملئ علمه مما حفظه في ناحية وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد. وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ. والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث. وكان يطيل التأليف فن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح السكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما. واليك ما وصلنا من كتبه :

- ١ كتاب الاضداد في النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ وفي مصر سنة ١٩٠٧
- ٢ « الزاهر : في معاني كلمات الناس . منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي
- ٣ شرح المفضليات : منه نسخ خطية في ايا صوفيا ويني جامع والمكتبة الخديوية
- ٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي
- ٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ - ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجاج واسمه ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد من اهل مصر وقد توفي فيها . وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء

٦ - أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج . وقد يسمى الصفار . وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاحفش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة في اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

- ١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم
 - ٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضاً
 - ٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني
- وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ - أبو القاسم الزجاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند. أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً في القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

١ كتاب الجمل في النحو : هو أهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطاليوسي وانتقده هو وغيره : ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر للاباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠ وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر كابن الحائل وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاحفش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مزاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدل بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه. وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون أشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ الف كتابا في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسألة ومسألين — هذه أمثلة منها :

<u>عند الكوفيين</u>	<u>عند البصريين</u>
الاسم مشتق من الوسم	الاسم مشتق من السمو
معربة في مكانين	الاسماء الستة معربة في مكان واحد
المصدر مشتق من الفعل	الفعل مشتق من المصدر
يجمع	الاسم المنتهي بتاء التانيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون
معرب	فعل الامر مبني
المبتدا يرفعه الخبر	المبتدا مرتفع بالابتداء
يتضمن	الخبر اذا كان اسما مختصا لا يتضمن ضميراً
لا يجوز	يجوز تقديم الخبر على المبتدا
يقام	لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول
اسمان	نعم وبئس فعلان مبيان
يبني من السواد والبياض	لا يبني فعل التعجب من الالوان
لا يجوز	يجوز تقديم خبر ليس عليها
يجوز	لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن
يجوز	لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام
يجوز	يقال قبضت الخمسة عشر درهما
	ولا يقال الخمسة العشر درهما

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعدُّ لغويو هذا العصر أيضاً من النحاة أو الأدباء لكننا افردناهم لاشتغالهم على الأكثر في اللغة . نعي الالفاظ من قبيل المعاجم أو ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الآتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فألف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ - أبو عمرو الهروي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للشعار وال اخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجماً في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ - أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن ابي زيد و ابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقاً في النحو لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً أكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتاب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي وانما يراد بها الواجهة اللغوية لتمييز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

جملتهم طائفة من الشعراء كعبيد بن الابرص ولييد وعمرو بن قميثة وجماعة من السادة والفرسان كالكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ودريد بن الصمة وزهير بن جناب وغيرهم . والكتاب رواية ابي روق الهمداني . لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقي للمقدمة والتعليق . وطبع أيضاً بمصر سنة ١٩٠٥

٢ كتاب النخلة : طبع في بالرمو بايطاليا سنة ١٨٣٧ وفي رومية سنة ١٨٩١ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
وتجد ترجمة ابي حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ والفهرست ٥٨ وابن خلكان ٢١٨ ج ١

٣ - أبو العباس المبرد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد ويعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وابي عثمان المازني . واخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوي الذاكرة كثير الحفظ معاصراً لثعلب المتقدم ذكره . وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء (١) وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد . وكان المبرد كثير الامالي يملئ علمه على الطلبة أو على من يدونه — ومنها سميت الامالي . وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفاً في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك وهالك ما وصلنا منها :

١ الكامل : هو كتاب في الادب وصفه المبرد بقوله «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب بين منشور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة باللغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية ان يفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب أو

(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

معنى مغلق « فهو يعدُّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه كثير من الفوائد التاريخية . أهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني أمية . وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨
٢ كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب النعازي والمرأى : منه نسخة خطية في الاسكوريال
٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين
وترجمته في ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ الفهرست ٥٩

٤ - المفضل بن سامة

في أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سامة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ «الضبي» ونظن ذلك سهواً من ابن خلكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ «الضبي» ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب . ووقع في ما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سامة تشويش في اسماء مؤلفاته فحاء اسم كتاب الفاخر «المفاخر» وكتاب البارع «التاريخ» وهو خطأ في النسخ أو الطبع . والمفضل بن سامة من لغويي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطاه في كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا:
١ كتاب الفاخر : في اللغة وموضوعه معاني ما يجري على السنة العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما في كتاب مجمع الامثال للميداني . منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا في ١٣٥ ورقة
٢ كتاب العود والملاهي : في آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى . وهو يرى انه جائز وآتى بالادلة على ذلك . منها نسخة في جملة كتب زكي باشا
وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ - ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان أقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس وألف لها كتاب الجهرة الآتي ذكره . فقلدها الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس . فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد في اللغة وكان من أكبرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار . وكان شاعراً كثيراً الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون . وله قصائد اخرى وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً هاك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : أو كتاب المنصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردويكي سنة ١٧٨٦ وفي غيرها . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطأ للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الاخرى

٢ الجهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على أحرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائي ثم

الثلاثي فالرباعي فالحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد. ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الحليل. وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع أحرفها . فيقول « ع ل ن » علن الامر يعلنه علناً ... واللحن أصله الابعاد .. والنعل معروف ... ونعل الفرس ما أصاب الارض من حافره الخ ». وقد سماه الجهمرة لانه اختار فيه الجهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي وبني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

- ٣ كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعائر وأخاذاها وبطونها وساداتها وشعراتها وفرسانها على شكل المعاجم. وفيه فوائد لغوية. طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤
- ٤ كتاب صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩
- ٥ كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً
- ٦ « المجتبى : فيه أقوال النبي موجود في المتحف البريطاني واكسفورد
- ٧ « السحاب والغيث وأخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ - عبد الرحمن الهمداني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني كان اماماً في اللغة والنحو وكانياً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي. له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا: كتاب الالفاظ الكتابية : وهو مما يستعان به في تعميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكرع في أوائل القرن الرابع للهجرة رتبه على ستة أبواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات وذكرنا أشهر من ألف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لآخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وإنما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس ^(١) وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الامم. وقد تقررر أحكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح وأسبابها فاقصروا على تلخيص اخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها. وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فالتجهدت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه نعتي أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم. فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر أو نحو ذلك . وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالاصمعي وأبي عبيدة وإنما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة — أو التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام . واليك أشهر من ألف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

(١) تاريخ المدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

أولاً - مؤرّفو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعد فتح بيت المقدس او نحوه او نقل ماضي . وهالك اشهر مؤرخي الفتوح

١ - ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام . واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وأفضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجيهاً . وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفعت اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر . الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صاحب الامام الشافعي . والآخر عبد الرحمن الذي نحن في صدده وله مؤلف واحد كبير اسمه «فتوح مصر والمغرب والاندلس» منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادارة لجنة تذكّر جيب الانكليزية في لندن . واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ - البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في بغداد وتقرّب من المتوكل والمستعين والمعز . وعهد اليه هذا بشقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته يظنُّ لظنُّ البرد انك صاحبه
وقال وقد أعطيته فلبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر أيامه فاخذ الى البيمارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب أطول منه كان قد أخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر . وهو يدخل في ٥٠ صفحة ذكر فيها أخبار الفتوح الاسلامية من أيام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخط . وضمنه فضلا عن الفتوح ابحاثاً عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق ذي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو أجمع كتب الفتوح وأصحابها

٢ أنساب الاشراف : ويسمى أيضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم فرجع انه من أجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة . وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً - مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبونه مقصوداً على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك أيضاً أنساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل لم يبق لها شأن سياسي حيوي . وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدر عليه المال أصبح مقصوداً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة فاصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضاً أخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما يتألف من ذلك كالتطبقات ونحوها وهاك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٥٢٤٥ هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاحبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عميدة وكان مؤدبا . وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتابا في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهاك ما باغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن ابي الخطاب بن الفرات في طاحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظا المختلفة نسباً وضبط لفظها جيداً . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه وروستنفيلد في غوتجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن حني

٤ كتاب الخبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٥ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزبير بن بكار

توفي سنة ٥٢٥٦ هـ

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من اعيان العلماء في المدينة ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

آخرها سنة ٢٥٣ هـ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ وكان شاعراً أديباً
 جليل القدر. بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة
 نخوت وعشرة ابغل يحمل عليها رحله الى سر من رأى
 ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفاً في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء
 ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد
 (بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً
 لم تصلنا منها الا اربعة اجزاء من ١٦—١٩ طبعها ووستنفلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨
 وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣ — عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ربطة النيمري لانه كان مولى لبني نيمر ولد
 سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعراً اخبارياً راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر
 من رأى سنة ٢٦٢ هـ وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتاباً
 في وصف البصرة والكوفة ومكة وامرائها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتاباً وقفنا
 عليه في المكتبة الحديوية خطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته
 بهذا الاسم . وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم وأشعارهم
 وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن، و اكثر روايته عن ابن نافع وابن
 اسحق . وهو من قبيل القصب التاريخية . ونفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع
 فما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وسائر
 تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اما كتبها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

وزيد بها تواريخ البلدان والامم والقبايل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش أو القبط أو الروم أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام . فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليحيى بن منده وغيرها وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقى

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقى : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيد في ليسك سنة ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ٣ سنوات (١٨٥٨—١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقى المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكي . ومن شفاء الغرام لتقى الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة وترجمة الازرقى في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طيفور

توفي سنة ٢٨٠ هـ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من اولاد الدولة . ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عامياً ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغاً عظيماً . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتاباً لم يبق منها الا النزر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد . هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ
المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم أو نثر في
العربية الى عصره في بضعة عشر جزءاً . راينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية
(١١ و ١٢ و ١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادبام ١٥٢ ج ا والفهرست ١٤٦
أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف
كتباً حجة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها
وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه ليوسف ابن الداية
المتوفى سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرخ مصر بعده كبن سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجاً فيه . وكانت
التواريخ قبله في مواضع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ
الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في اثناء ذلك علائق المسلمين
بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فأخذوا يؤلفون التواريخ
العامه التي تبدأ بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها في
هذا العصر خمسة كتب الخمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سني وفاتهم
مع وصف كتبهم :

١ — اليعقوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجدته من موالي المنصور .
وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فكان سنة ٢٦٠ هـ
في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . والف في سياحته هذه
كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها يعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨ وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ يعقوبي نشره المستشرق هوسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة . والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبته حسب الخلفاء . ومن مزايه فضلا عن قدمه أن مؤلفه شيعي فيأتي بأشياء عن العباسيين يتحاشى سواء ذكرها . وللمستشرقين اجاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ - أبو حنيفة الدينوري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من أهل الدينور . أخذ علمه عن البصريين والكوفيين واكثر أخذهم عن ابن السكيت . وكان متفناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب يعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني امية وخصوصاً أخبار علي ومعاوية والخوارج والازارمة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتمد سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص وترجمة أبي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ - ابن جرير الطبري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم فجاى بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقاه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب . منهم علي بن عبد العزيز الدولايني ومحمد بن احمد بن ابي الثلج وابن العراد وأبو الحسن احمد بن يحيى المنجم وأبو بكر ابن كامل وغيرهم . وكل منهم ألف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعي التاريخ والتفسير ذكروا أن كلا منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠٠ ورقة أي ٦٠٠٠٠ صفحة ثم أشار عليه تلامذته باختصارها فصارا الى ما هما عليه وقد ألف التفسير قبل التاريخ . وكل منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وأيامهم . وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد أمراً جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم . فكثير اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتقون بمرضاتهم ولا سيما الحنابلة لانه ألف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال: «لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً» فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدداً في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالاحاد وشاركهم اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الاحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً . وألف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالحاوية وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ في ٢٣ جزءاً . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً . وقد اتبع في أخباره الاسناد الى رواها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتعالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

للملوك وأهل الثروة ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت المكاتب فضاعت نسخته . فلما ارادوا طبعه في لندن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمية . وترجمه عن ترجمة البلعمية زوتبرج الى الفرنسية وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في ٤ مجلدات . وترجم ايضاً بعضه الى اللغة الالمانية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ وترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي الف ذيل على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمداني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ سماه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيااتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠ ورجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ وابن الاثير ٤٩ ج ٨ والفهرست ٢٣٤

٤ - ابو زيد البلخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف واخذ عنه ثم عاد الى بلاده فخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك اتخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجيهاء عليه وبعد ان كانوا يدرون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الالحاد شأنهم في كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولابي زيد عشرات من المؤلفات في مواضع مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصلنا ما لم يذكره الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

١ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام بأنه اوسعها جميعاً في اخبار الخليقة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنسية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنسي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافي العصر العباسي الثالث لانه قدوسهم في رسم الخرائط

وترجمة ابي زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ - ابن البطريق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو اتيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في القسطنطينية واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ. وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب «نظم الجوهر» في التاريخ الفه لاختيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريقا على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية. وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطارقة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه «تاريخ الذيل» طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي—فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي

وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها استعان بها المسعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفيما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من نوارخ الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس نزلت من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التي ذكرها المسعودي فانت صاحب الفهرست وقايل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ يعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جماتها كتاب بطليموس وعايه معولهم في تقويم البلدان . على أن المسلمين بدأوا بوضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

أولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقُدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل
ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه أيضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عايه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكتبوا ما شاهدوه أو حققوه وصححوه كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة أسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها ويعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص بقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك أقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ - ابن خردادبه

في أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خردادبه . كان خردادبه بجوسيا واسلم على يد البرامكة . وتولى حفيده أبو القاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخصّ به . ولف كتباً في أدب السماع واللهو والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصان إلا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ - قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصنعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها أيضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ - كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره وكان كلما رأى رجلاً من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى الف كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في أيامه ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدامة ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبه والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤- ابن الفقيه

هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمداني ويعرف بابن الفقيه أحد اهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصانها منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضاً . ويقول ابن النديم : « انه أخذ من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢

٥- ابن رسته

هو ابو علي احمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض .

تم وصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشاركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ - ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ صنة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائدها عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومسكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواها .. وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعليق

٢ كتاب الاكليل : ولا بن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جماتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم وآراء الاوائل وغير ذلك لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزيع المياه

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج ٣

٢ - ابن فضلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انقذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية . ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ - سلسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وإنما هو رحلة أو رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من بحار العرب في القرن الثالث للهجرة . أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيراف أكثر ما ذكره منقول عن بحار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجارتهم وأسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنسي

٤ - بزرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا أيضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطئ بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية — لغة الادب والسياسة والدين عندهم في أوائل القرن الرابع للهجرة . نقلها عما سمعه من جوارب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطئ البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائمه وسماه باسمه وعين السنة التي حدثت بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر أهل هذا الزمان . لكنه يروي ماسمعه على علاته وفي جملة ذلك أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي . ولا يطعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان أهل ذلك العصر معذرون في تصديق ما يسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب أو الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم . وعند الافرنج من أخبار أجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة . وسنعود الى ذلك في مكان آخر

أما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فنه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا
 قديمة جداً وعنها نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان در ليت
 مع ترجمة فرنساوية لما رسل دفيك . وفي هذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن
 مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل أسفار العرب في البحار
 لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها



ش ١٠ : سفينة عربية جلس رانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالاهراس
 وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان



العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت أن الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لا تزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس. أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعات والمنطق فغيرت كثيراً من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرهما صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون اقوالاً كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاءوا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقات كتب اليونان الى العربية فاحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام وأقيمت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما ارادوه منها من تقوية الحججة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكاً بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيماً وهي الى ذلك العهد : مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم . قال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعريه مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

أقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنيفة فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الأئمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره يخاص كلامه من الراء فلا يفتن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدل قوي الحجة كثير الاستعمال للدلالة . وما يروى عنه من هذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل : « لا أعرف لجزعك عليه وجها اذا كان الانسان تنذك كالزرع » قال صالح : « يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال له : « كتاب الشكوك ما هو يا صالح » قال : « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل : « فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يميت وان كان قد مات وشك ايضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الحلياني : توفي سنة ٣٠٣ هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٥ ابو الحسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣ هـ سمع زكريا الساجي واما خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الحلياني واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى باعلى صوته : « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعالها، وانا نائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعانيهم » وأخذ من حيثئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب

القطان وبنى على قواعده و صنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعاية ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبه في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ريبب أبي علي الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال أبو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في اقماع السهام »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدره حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ والمقريري ٣٥٩ ج ٢

وهناك طائفة من المتكلمين أغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في

الابواب الاخرى

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة الحديثين . واصحابها ثقة حتى الآن وهالك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ - البخاري

توفي سنة ٢٦٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ كان مغرمًا في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهو صاحب كتاب «جامع الصحيح» المشهور بصحيح البخاري أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه. طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ وطبع بالحروف بمصر مراراً. وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلدًا وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة وللبخاري كتاب خلق أفعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ - مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور وكان من الأئمة الحفاظ وأعلام الحديثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث وألف فيه كتابا سماه «الجامع الصحيح» منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة أجزاء وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ - ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كان اماماً في الحديث عارفاً بعلمه ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر وألف فيه كتاب «السنن» منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة وطبع في دهلي على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ - أبو داود

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني المتوفي في البصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد حفاظ الحديث ألف كتاباً في الحديث سماه «السنن» وتعرف بسنن الامام أبي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفي لكتناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدي . وفي غيرها . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ - الترمذي

توفي سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب «الجامع الصحيح» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ وله شروح كثيرة . وترجمته الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ - النسائي

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١ وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٢٥٥ هـ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضح في هذا العصر أيضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بان صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض . طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءاً وهو من أجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولاً — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في أواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والاحسان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . و هذا في تأليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق الترجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٣	كتاباً
» الحساب	١١	»	» الكريات	٨	كتب
» النجوم	١٩	»	» المنطق	٩	»
» الهندسة	٢٣	»	» الموسيقى	٧	»
» الفلكيات	١٦	»	» الاحكام	١٠	»
» الطب	٢٢	»	» النفس	٥	»
» الجدل	١٧	»	» الابعاد	٨	»
» السياسة	١٢	»	» مقدمة المعرفة	٥	»
» الاحداث	١٤	»	المجموع كله	٢٣١	كتاباً

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب أن الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . وأكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الاهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبتين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة تحاول السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ وأخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات

الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢ - أبو النصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلى الكندي أبو النصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب لكننه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملاً درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحايل وأنحاء التعاليم وأفاد وجوه الانتفاع بها . وألف كتباً في مواضيع لم يسبقه أحد اليها ككتابه في احصاء العلوم الآتي ذكره وكتاب «السياسة المدنية» وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرها كما ستراه مفصلاً في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاهيه فيه أحد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى . وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها - أو عز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه «التعليم الثاني» ولذلك سموه «المعلم الثاني»^(١)

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

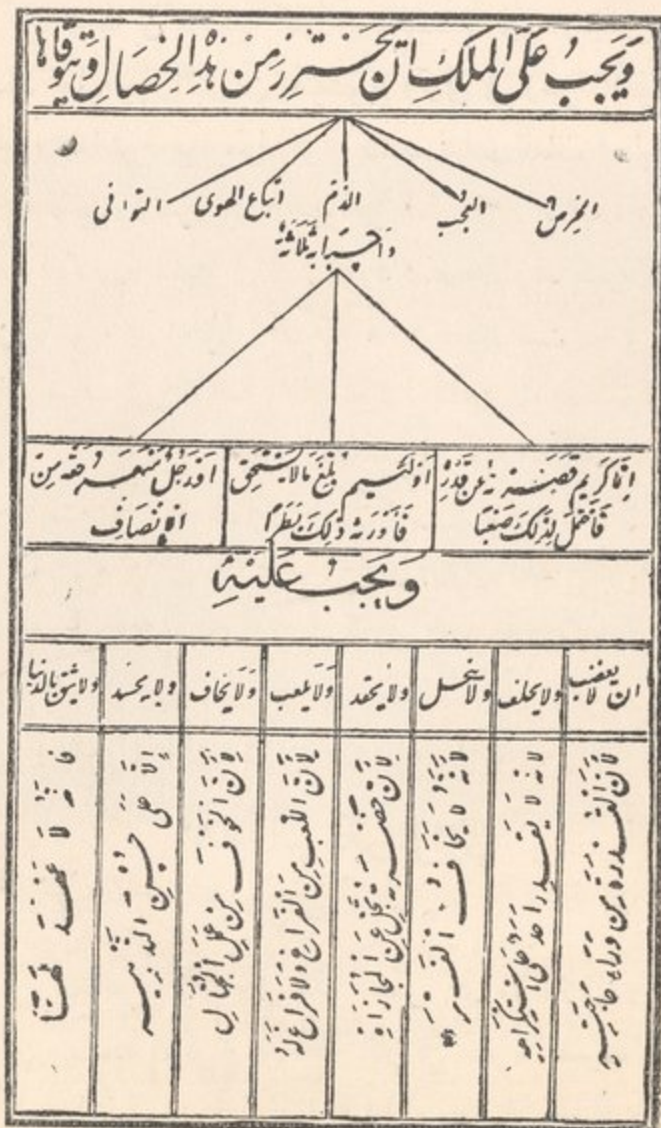
(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

- ١ كتاب مبادي آراء أهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في ليدن سنة ١٨٩٥
 ٢ كتاب احصاء العلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخوخو في بيروت سنة ١٩٠٢
 وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب أوروبا والاستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية
 و٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في ابحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر أما كن وجودها بروكلمن في كتابه ^(١) فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ وأخبار الحكماء ١٨٢

٣ - ابن أبي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن أبي الربيع» . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي المتوفي (سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك أن اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن يتفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث - ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ هـ) فقرأ « المعتصم » وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

أما الكتاب فإنه جليل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى أربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ أحكام الاخلاق وأقسامها ٣ اصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ أقسام السياسات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليتمكن تصوير تلك المشجرات. وهذا مثال منه



ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

مُنْبَغِيًّا — الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هالك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه كان أبوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتثقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى في زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغطوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها . وقد نشرنا رسمه مع المترجمين وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ — ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ هـ وله كتاب الاقرباذين الكبير كان معول الصيادلة في أثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشئ

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وتراجم الحكماء ١٤١

٣ — أبو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكماله ابن سينا » وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون. فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه فان كان عندهم علم والا
تعداهم الى غيرهم فان أصابوا والا تكلم الرازي. وكان كبير الراس مسفته جليل الطلعة
يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كات في عينيه . وكان كريماً متفضلاً رؤوفاً بالمرضى
دقيق الملاحظة صحيح النظر، ويروون عن ذكائه وإصابته نوادر كثيرة لاجل لها هنا
وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر
ملوكها وأمراءها وصف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري ألفه للامير منصور من
آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسعود اليها
وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكيمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

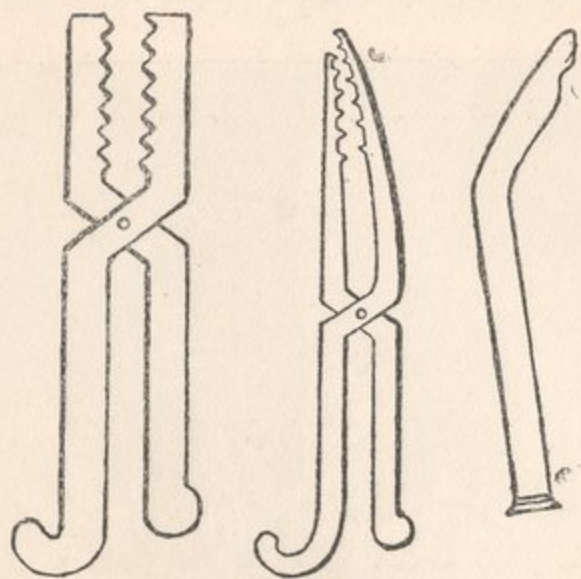


ش ١٢ : ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيمياوية أهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك)
والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر
فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج. ولا تزال طريقة الرازي من طرق
استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية
وسكرية مختمرة. وألف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقد أهل
زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

أهله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع ففضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قدام يقدهما وهي عملية الكتر كنا الآن فسأله الرازي « كم طبقة للعين؟ » فقال « لا أعلم » فقال: « لا يقده عيني من لا يعلم ذلك » ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ



ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لا يزال باقياً منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفاً يتطول بنا وصفها وانما نذكر أهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

- ٣ كتاب الجدري والحصبة: وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها
- ٤ كتاب الفصول في الطب: ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤
- ٥ كتاب الكافي: ترجم الى العبرانية وهو موجود في مكتبة اوكسفورد
- ٦ كتاب برء الساعة: يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦
- ٧ كتاب الطب الملوكي: يوجد خطأ في مكتبة ليدن
- وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ وتجد ترجمته أيضاً في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ وأخبار الحكماء لابن القفطي ١٧٨

مائة — الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة أو الفلاحة. وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الحديوية. ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها ولقسطا بن لوقا الطيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣



العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقات العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية . لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . وتقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت فيما تقدم أن العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرائها في العصر العباسي الثاني . فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ خلفه أخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من آتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي يجالس من اشهر بيفضه . وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ رونقه في أيام الرشيد وخلفائه فاخذ في التقهقر في أيام المتوكل لانه كان شديد الوطأة على أصحاب الرأي وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة . وأخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله . ولاقى أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نغمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من عالية الكتاب وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافة واستفحل شأن الأتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً . ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة مما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية . والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقاية والنقلية . فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الاسلامية بالفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض . وتدرج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر . وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وأفغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها
وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت أسماء البخاري والنيسابوري والرازي
والبغدادي والاندلسي. بعد أن كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميري والمازني
والقرشي والفارسي ومحوها. أو الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

١٢٤١
بفتح
البحر

أسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور
على أثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن
تنشيط العلم. فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم
فاقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية.
والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال
معينة — فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد. فلما تم
نموها وأدركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في
فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية. وتعددت الدول التي
اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق. وقد
فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي. فنكتفي هنا بالدول التي
تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	» ٢٦١ — ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	» ٣١٦ — ٤٣٤	»
الحمداية ✓	بين النهرين وحلب	» ٣١٧ — ٣٩٤	عربي
البويهية ✓	العراق وفارس وغيرهما	» ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	» ٣٥١ — ٥٨٢	تركي
الفاطمية ✓	مصر	» ٣٥٧ — ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم . لان العلم لا يورق ولا يثمر الا في ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفي زمن الرشيد والمأمون في العصر العباسي الاول. ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذي نحن في شأنه. وهو في هذا العصر أكثر ثمراً وأصح إنتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا. وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد أصبح نصرأؤه في هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء في أشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرايح العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم في ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء في الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التي ساعدت على هذه النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدوله وأنصارها الديلم من الخيلان وراء خراسان. ولسكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك من أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فاجابوه

وجد آل بويه الاقرب الذي أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع كان له ثلاثة أولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . وأحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فانتظم أولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

باباً من أبواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاة الكرج ثم اتسمت أحواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الرازي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ أن يقاطعه على أعمال فارس بما لم يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فجاببه الرازي وبعث اليه بالخلعة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدوا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى أتوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم باللقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولاهم فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالمها وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت إمارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو أول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزرائهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم كبن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلبى . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على أن ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان أوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة . وكان مشاركاً في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابي كتاباً في أخبار آل بويه سماه الناجي وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمثني واللامي وغيرها وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقرية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لعمر ك تلك احدى المعجزات (١)

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن افتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه «ان الشام

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والعدد
 حاربت القوم في مستقرهم » فكاتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا
 تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط وهي « غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك
 فاحش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا » والبيارستان في بغداد ينسب اليه
 وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧)
 وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان
 يلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك أبو العباس خسرو
 ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر
 للشعالي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على أن تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على أخذهم بناصر الادباء والعلماء
 وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان
 (سنة ٣٢٠ — ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد
 مقصداً للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى . وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق
 والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هذا الوزير في
 كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال يا قوت : « لم يكن في الدنيا
 أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المتعبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور
 أيضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلب المتوفى سنة
 ٣٥٢ هـ وكان المهلب شاعراً اديباً وهو صاحب الايات المشهورة التي أولها :
 ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في أشد الضيق قبل الوزارة
 وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد
 الدولة بن ركن الدولة ثم وزير لفخر الدولة أخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجمه
 على حدة وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة
 عند نخر الدولة لا يرد له طلب — فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له
 عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يقدون عليه . وبالجملة فان
 البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتبهم من الادباء ويتعاونون على
 نصرة الادب

٢ — الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من أشرف بلخ انشأ أعقابه دولة عظيمة في خراسان و تركستان . وزهت في أيامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها انشئت أقدم المدارس الاسلامية ^(١) وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ اشهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محباً للعلم والعلماء فاستوزر الباعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محبي العلم وأهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو أول من اقترح نظم الشاهنامه (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فأمها الفردوسي بعده بإشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيجيء . وكان نوح رغاباً في استخدام رجال العلم . فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرّاً يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتديبر أمر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بأنه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جبل — ولعل له عذراً آخر كتبه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا في حديثه عن صوته . وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور الساماني لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فالف له أبو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقر هذه الدولة في جرجان بطبرستان أول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً أديباً كاتباً من أبلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٠٠ ج ٣

الصابي في مدحها . ومن شعره الايات المشهورة التي مطاعها .
 قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر الامن له خطر
 اما ترى البحر تعلق فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
 وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر
 وذكر له صاحب يتيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يرسل صاحب بن
 عباد . ووزيره ابو العباس الغانمي يرسل ابا نصر العتي مؤرخ السلطان محمود الغزنوي

٤ — الدولة الغزنوية بافغانستان والهند



ش ١٤ السلطان محمود الغزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ هـ لكن أشهرهم
 وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند
 وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها
 سنة ٣٨٩ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان
 وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالى الهند . وورث ما كان هنالك من
 أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه أهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك
 العصر . فاقترح عليهم امام الشاهنامه التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها
 الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه . فعلم أن في مجلس مأمون
 ابن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم الفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطيب
 والبيروني الرياضي المؤرخ وأبوسهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخوارزمي الطيب

وأبو نصر العراق الرياضي وغيرهم . فتأقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتاباً أرسله مع بعض خاصته : « علمت أن في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم الى ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير أن يرد الطلب لكنه كان حريصاً على أولئك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والحار والعراق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وإنما أردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وإن لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استثناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥- الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بمجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة أديباً شاعراً نقاداً للشعريجب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساق صبيح للصبح دعوته	فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم	فن بين منقض عاينا ومنقض
وقد نثرت ايدي الجنوب مطارفا	على الجود كناً والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر	على احمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل	مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل إنه لم يجتمع باب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما

اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدل على شاعرية وعلم ويبدل لهم الجوائز السنوية . وأخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السري الرفاء والناسخ والبيغاء والواواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمداني الشهير وسيأتي ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرهما . كما اشهر منصور واحمد ابنا كينغلغ من امراء الشام

٦ - الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ - ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ - ٣٦٦) وهما اشهر من ان نيين جبهما العلم والعلماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسها فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم . كان يبعث في شراها رجالات من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصراً له وهو أموي مثله فبذل له الف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة أقاموا عليها خازناً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس اكل موضوع على حدة . وذكروا أن فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة (١) فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسماً فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظماً نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرئ ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وكان عالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

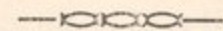
٧ - الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في أواسط العصر الذي نحن في صدده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ - ٣٨٦) والحاكم بالله (سنة ٣٨٦ - ٤١١) فأنشأ خزان الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضعها - انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من أنواع الكتب وعنايته بتعهدتها والاتفاق عليها في تاريخ الممدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا أيضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقهاء ولكنهم خدموا علم النجوم بالمرصد التي أنشأوها كالمرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرها . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون . وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم راجحة وأصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنوية . وربما الف الواحد منهم كتاباً للملك البويهى وكتاباً للساماني وآخر للغزنوي كما فعل أبو منصور الثعالبي فانه الف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمهجع والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفته اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقرس على ذلك . فلا عجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في أكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد أخذوا في إعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامه وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين



مزايا هذا العصر

١ - نضج العلوم وكثرة المسكات

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يتحداها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية إخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل إخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهد والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . وتم تكون الانتقاد الشعري أو الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال . وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو أهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد وامتاز هذا العصر بكثرة المسكات الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الآن . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد مواضعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ الفه لابي الحسن عبيد الله بن احمد العتي وقسمه الى مقالتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلاً تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ الفقه ٢ الكلام ٣ النحو ٤ الكتابة ٥ الشعر والعروض ٦ الاخبار

والمقالة الثانية ٤١ فصلاً في تسعة ابواب : ١ الفلاسفة ٢ المنطق ٣ الطب ٤ علم العدد ٥ الهندسة ٦ النجوم ٧ الموسيقى ٨ الخيال ٩ الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلون في نيف وثلاثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيراً من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلاثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة ابواب : ١ العلوم الخطية تسعة علوم ٢ العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علماً ٣ العلوم الباحثة عما في الازهان من المنقولات خمسة ٤ العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ العلوم الحكيمة العلمية ثمانية علوم ٦ العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعد بالمئات والالوف شاع اكثرها وعلينا أن نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والقوا فيها منذ الف سنة أو نحوها . كعلم

« تدير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال » وموضوعه « احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولاحمد بن الطيب ولجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدير المنزل

٥ - كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية تحددوا بها ما نقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد ألف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . وألف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب « سياسة الملك في تدير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه ألفه للمعتصم العباسي (المتوفي سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بينها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جداً لم يغادر بحثاً من اجنات العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه واوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ - الاقتصاد السياسي

واشغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صدده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفو في المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضعهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف. ككتاب «الجواهر وأصنافها» لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفي سنة ٢٧٩ هـ وكتاب «أجناس الرقيق» لرجل من أهل مصر. وكتاب «مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ» ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لأنها ضاعت. لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعتي به كتاب «الإشارة إلى محاسن التجارة» للشيخ أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديتها وغشوش المدلسين. وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديته وفساده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية. وفي انكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال. ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم. والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ - علم العمران وغيره

ومن اجرائهم أيضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم. وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون. فان في كتاب سياسة الممالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل. وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم في هذا العلم. وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه

وناهيك بعلم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من أوائل دولتهم. وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشعراني الفه للمأمون سماه كتاب «الحيل» جعله مقاليتين الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا كلها في الحروب وآلاتها. وذكر كتابا قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن أكثرها ضاع. وسنأتي على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم في بابها

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن أحوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر أكثر مما في سائر الآداب. لان الشعر مرآة أحوال الامة كما تبين لك مما بسطنا عن أحواله في العصور التي تقدم ذكرها. كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يمثلون الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلمون ولا يبالغون. فصاروا في أيام بني أمية وأكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية. فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وسرحوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر أثر ذلك في أشعارهم. ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء. ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولادة الامر الى تقديم أهل الادب. فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليبهم

مزايبا الشعر في هذا العصر

١ - حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة. فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه. واماما هذه الطريقة المتنبي والمعري. وقد رأيت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يتحدونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى. فتصلص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالوا الشعر كما توحيه القريحة فنظا في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري. والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والحجاز وسنعود الى ذلك

٢ - مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقہ

على أن العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلاسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يتمثلون بابطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خبز الثيا ب ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسي خده حمرة وعالته ورم في الريه
وقوله : ان الجهول تضرني أخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غض من أملي اني أرى عملي أقوى من المشتري في أول الحمل
واني زاحلٌ عما احاوله كاني أستدر الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وأمثالهم في اليونانية اما اقتباساً كما في أشعار المتنبي أو نقلاً وتعريباً . وأكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

من مثل الفرس ذوي الابصار الثوب رهن في يد القصار
ان البعير يبغض الحشاشا لكنه في أنفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزق منشق ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من أصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سره ان يرى الفردوس عاجلة فلينظر اليوم في بنان ايواني
أو سره أن يرى رضوان عن كذب بملء عينه فلينظر الى الباني

٣ - أبواب عديدة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في أسباب الرخاء فبعد أن كان الشعر الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر والرياء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو . وزاد العباسيون في العصر الاول المحرمات والتغزل بالغلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلامح احوال الاجتماع والمدنية اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات وصار النظم في الزهر باباً قائماً بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه امثلة في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هذا العصر ابواباً مستقلة . وهي تدل على تल्प اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها
فيراد بالاخوانيات مثلاً ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من أسباب التقارب كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله ادنى الي على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه من ان يقرب للجناة قطوفه
والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدف وهل اذ رميت اصبت الهدف
وهل جئت ليلاً بلا حشمة لهول السرى سدفاً في سدف
والدهر أو شكوى الدهر كقوله :

يادهر ما أقساك يادهر لم يحظ فيك بطائل حر
اما اللثام فانت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللثيم مدى الحياة فلا يرتاع منه لحادث صدر

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر للثعالبي

٤ — المبالغة

[غالى أهل هذه العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل الاعصر الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
فبعده والى ذا اليوم لو ركضت بالخيال في لهوات الطفل ما سعلنا
ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولاً اني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . وامامنا المداحين في هذا العصر المتنبين أبو الطيب وابن هاني . (ومن مبالغات ابي الطيب في المدح قصيدته السنوية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم اثنتيت وما شفيت نسيسا
الى أن يقول :

لو كان ذو القرنين اعلم رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمنه ما انشق حتى جازفيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا
ولحظت أمه فسلن مواهباً ولمست منضله فسأل نفوسا
يامن نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه ابليسا
ونحو ذلك قوله .

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صاحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا
وقوله :

بمن اضرب الامثال أم من اقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر
أما ابن هاني متنبى الغرب فيكفي مثالا لمبالغته القصيدة التي مدح بها المعز لدين
الله الفاطمي ومنها قوله :

ما شئت إلا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد وكانما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخيار

ه — طول القصائد

وظالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات المئات
من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا
شأوا الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذة والاذويسة والفرس في الشاهنامه
وهو الشعر المعروف بالايوبية وتعدايات الواحدة بعشرات الالوف . على أنهم ذكروا
لابي الرجا محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفي سنة ٣٣٥ هـ قصيدة ابياتها تعد
بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزي . ويعد من هذا القبيل نظم
كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير أي لم ينظمه الشاعر
من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ — الوصف الشعري

وأجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العبارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده منهم شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج . والشعر الوصفي عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدينة حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه على أن تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الى آخرها : وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحري وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل خارجة من جبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجري في مجاريها
إذا علمتها الصبا ابدت لها حبكا	مثل الجواشن مصقولا حواشها
فحاجب الشمس احيانا يضا حكا	وريق الغيث احيانا يبا كها
إذا النجوم تراءت في جوانها	ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعز بالله قال فيها :

وكان حيطان الزجاج بجوه	لحج يمجن على جنوب سواحل
وكان تفويف الرخام اذ التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر	ومسير ومقارب ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . وممن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والمأموني. ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناءه الصاحب بن
عباد قال فيها :

فهنئاً منها بدار حوت من ك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدر كرح صدرك قدزا د على ظن آمليك انفساحا
ثم أتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يتخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء
قالهوا فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب أو ما يحتاج الى نخامة اللفظ والمعنى
كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره
الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

يطأ البرى مترقماً من تيهه فكأنه آس يجس عيلا
ويرد غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكيلا
وتظنه مما تزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ كما فعل
اليونان والفرس قديماً أو كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية
للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع

٧ - زيادة البحر وأوزانه

تولدت في الشعر البحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها
اسماتاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد
منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر
القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على أغصان عددها
بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين وأول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من
شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه
ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقماً حسناً عند المحافظين
على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة الفزاز شاعر المعتصم بن صامح صاحب
المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ) (١) فاجاد وجاء بعده ابن ارفع رأس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان أول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فحدث التصفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر وفيه أيضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن ايراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقدم النقد الادبي أو انتقاد المؤلفات الى اقسام أهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من أقل الامم نقداً وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سنيئتها في ما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك فهم من اكثر الامم ميلا الى النقد أو التمجيص وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلاً خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رأيت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيراً ما كان الجدال يفضي الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد لبيّنوا فضله

على سواه. ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء أو الشعراء بل كان يتناول كل ذي امام بالشعر. وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سكية بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الامم المتمدنة اليوم. ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم وانديتهم للمفاكحة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فالول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ابيات قالوها عرضاً

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فالول من أقدم عليه مما وصانا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفي سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء. فانه صدر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقد جميل قال في جملة « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبته من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية ». وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب. ونجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعاب المتقدم ذكره. أما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسنته باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظاً ووفرت عليه حقه. فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادته في كل دهر. وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في أوله. فقد كان جرير والفرزدق والاخلطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته (ثم صار هؤلاء قدما عندنا بعد العهد منهم
كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء وأشباههم .
فكل من اتى بحسن قول أو فعل ذكرناه له وأتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر
قائله أو فاعله ولا حدائة سنه كما أن الرديء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم
يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم
ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ فافرد لذلك كتابا خاصا سماه « نقد
الشعر » تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهو أول من فعل ذلك فين حد الشعر وشروط
نظمه من حيث اللفظ والمعنى واثنا فهما في أبواب النظم المعروفة في عصره وشروط
المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من
يبدأ بعمل جديد فترك آتامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده
فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء
٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحري وقد ذكرناه في ترجمة
البحري (صفحة ١٦١) وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين
لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ
في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ردا على كتاب الفه صاحب بن عباد في
مساويء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصا بين المتنبي وخصومه لكنه
يتضمن ابحاثا في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه (١) .
وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢)
باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن
فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعري ايضا كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فانه ذكر فيه
محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد في اربعة مجلدات كبيرة
وسنذكره في ترجمة الثعالبي
ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض
الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :
 كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي
 حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولمته . ويعد من قبل النقد
 الشعري ايضاً رسالة الغفران لابن العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في
 الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسياتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء

كتاب العمدة

على أن ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر
 العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين
 سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج
 الانتقادية على ما رآه قال : « وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري
 خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق
 ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد
 وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابن عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد شرف
 الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو
 معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تألق في رسائله فسجعها وزينها بالتشايه والكنيات
 يقلد بها المقامات في الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهليين فما بعدهم
 وستان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها في مجلة المقتبس (سنة ٦)
 وذكر صاحب كشف الظنون كتباً في نقد الشعر لابن عبد الله محمد بن يوسف
 الكفر طابى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجريير والاخلط وغيرهم من شعراء بني امية يعدون في ذلك العصر
 محدثين فاصبحوا يعدون في العصر العباسي الاول قدماء وصار ابو نواس والعتابي
 واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدماء أو مولدين في العصر الذي نحن في صدده وصار
 أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعد هؤلاء جميعاً قدماء

مميزات هذا العصر

- ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بأمور أهمها :
- ١ أنهم ظهوروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادباء من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان
 - ٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة
 - ٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء
 - ٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجهم فتأتي باشهرهم حسب سني الوفاة :

أشهر شعراء هذا العصر

١ - ابو الطيب المتنبّي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفي بطن من سعد العشيرة من القحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان أبوه من العامة يستق الناس ويسمونهم «عبدان السقاء» لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعاً على الشعر . فلما ترعرع حمله أبوه الى الشام ينتقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه فرأوا باللغة فحفظ غريبها وحوشها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتناهى سواه من الشهرة بالشعر أو الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوماً من مربيه من أبناء سنه فبايعوه وحين كاد يتم أمر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدد الله ورد الحدود وقد قدود الحسان القدود
الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النعال فقد صار مشيها في القيود
وكنت من الناس في محفلٍ فها انا في محفل من قروود
تمجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه
ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو ابعد منه فزعم انه نبي اعتمداً على بلاغة اسلوبه
فخرج الى بني كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . ~~وقال~~ انه اظهر دعوته
هذه أولاً في بادية سماوة ونواحيها وأخذ يتلو عليهم كلاماً زعم انه قرآن انزل عليه
فكانوا يحكون له سوراً كثيرة أورد ابو علي بن حامد جزءاً من سورة قال انها
ضاعت وبقي أولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان
الكافر لني اخطار امض على سننك واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك
زيغ من ألد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ
امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسر من معه من بني كلب وكلاب وغيرهم
من قبائل العرب وحبسه في السجن دهرأ طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في أمره
فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها بيطان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام
واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته
فقنع بعد فشاه هذا بالشهرة الادبية . فقال منها ما لم ينله سواه فراجت سوق
شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق
معاصريه على الاطلاق . فتسابق الملوك الى استدائه بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة
ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء . فاحرز المتنبي قصب
السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن
خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي
فضربه بمفتاح كان معه فشججه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب
وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدى سنة ٣٤٦ هـ
لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيد فآكرماه حتى
صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجيين من مماليكهما بالسيوف والمناطق . فلما رأى كافور سموه بنفسه وتعالیه بشعره خافه وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فأتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محمد وعلامة مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فأنك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار فمقال له علامة مفلح :
« لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فألخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم »
فكر راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

✕ اما شعره في الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومثانة المباني . ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمدح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل صاحب بن عباد^(١) أو نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرة ولاشتهار ديوانه وشيوعه مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب في ذكر جوده ورديته وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته
ومن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر . فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخباره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر أو اديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته . وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمنتبي حكيمان وانما الشاعر البحتري » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المنتبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . و ابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المنتبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من أشعار المنتبي وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحتري و ابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المنتبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . و ابو علي محمد بن حسن الحاتمي بين ما توارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المنتبي بالسرقة بل قال : « لما رأيت ابا الطيب قد اتى في شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحائين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من أشعار المنتبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . و انتقد المنتبي جماعة من المستشرقين أيضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهرم ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المنتبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المنتبي ورتب على الحروف الابدجية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورغا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الاقيلي المتوفي سنة ٤٤١ هـ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفي سنة ٤٩٩ هـ ومن شروحه نسخة في مكتبة منشن وأخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحد المتوفي سنة ٤٦٨ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٨١ وفي أوروبا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب أوروبا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها أسماء شراحها . وحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجي طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المنتبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والنصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حثية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير . وقد عنى الموسيو غرانجره بنقل بعض أشعار المتنبي الى الفرنسية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولاسيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عنى هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ويئمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات

الادباء ٣٦٦

٢ - ابو فراس الحمداني

توفي سنة ٣٥٧ هـ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعرٌ امير وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . و ابو فراس يعدُّ اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بديء الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأ القيس و ابا فراس وكان المتنبي يشهدله بالتقدم والتبريز ويتحامي جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجتريء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيأ له واجلالا لا اغفالا واخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر أبو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في نخذه . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرقّة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بمحمص فاعترضه أبو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ وأفرده صاحب
يتيمة الدهر فصلاً كبيراً لترجمة أبي فراس وأشعاره (ج ١) وقد عني الموسيو
دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزَّ الناس جاراً	وامنعمهم وامرعمهم جنابا
لنا الحيل المطلُّ على نزار	حللنا المجد منه والهضابا
يفضلنا الانامُ ولا نحاشي	ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربيعة بل نزار	بأنَّ الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعب	فتحننا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غيرانا	اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا	كما هيجت آساداً غضابا
اسننه اذا لاقا طعانا	صوارمه اذا لاقا ضرابا
دعانا والاسنة مشروعات	فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت	وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهم اذا أصابت	مراميها فراميتها اصابا

وقوله في العتاب :

قد كنت عدتي التي أسطوبها	ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املته	والمرء بشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التي لبره	اغضى على ألم لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم او اخذك بالحفاء لاني	واثق منك بالوداد الصريح
لجميل العدو غير جميل	وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا	ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنكم	اذا لم يقرَّب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة	على المرء من وقع الحسام المنهد

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوِّغ نفعه	فافضل منه ان ارى غير فاضل
-----------------------------	---------------------------

ومن اضيع الاشياء مهجة عاقل
ومن النسيب قوله :

تبسم اذ تبسم عن اقاح
وتحفني براح من رضاب
فن لالاء غرته صباحي
ومن التشبيهات قوله :

مددنا علينا الليل والليل راضع
بحال ترد الحاسدين بغيظهم
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه
ومن روميته وقد شقت نخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفن الحرب عندي فانها
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي

وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ وبيتمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ - كشاجم

المتوفي نحو سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهرقي هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرمللي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته «كتاب ادب النديم» وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسماح والمحادثة ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ : وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ - السري الرفاء

توفي سنة ٣٦٢ هـ

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبى
وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالدين الشاعرين الموصليين معاداة فادعى عليهما
سرقة شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه
أحسن ابيات الخالدين ليقول الناس انهما سرقاها منه وسيأتي ذكرهما

وكان السري شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتتان
بالتشبيهات والاولصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة
حسنة من أشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمثنبي وابن أبي حفصة
وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من أنامله كالعارض الساري	وفعله ابدأ عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله	ثوباً يزر على الدنيا بازرار
ناراً ولكنها ليست بمبدية	نوراً وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا	يبعاً ولو وزن دينار بدينار
فامن بما شئت من راح يكون لنا	ناراً فانا بلا راح ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى	صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً	كانه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر	فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى	في جحفل ترك الفضاء مضيقاً

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا ديرها الشرقي لازال راح	يحل عقود المزن فيك ومغندي
عليلة انفاس الرياح كما	يعل بماء الورد نرجسها الندي
يشق جيوب الورد في شجراتها	نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

وللسري الرفاء ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة
نقلت من المدينة المنورة اكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبى وبعض بني حمدان .
وفيه اهاج في الخالدين وغيرها وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار

وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ ايضاً
في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحبين
واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الخمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن
وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج ١ والفهرست ١٦٩

٥ - ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن
ابي صفرة . كان ابوه هاني شاعراً في بعض قرى المهديّة بافريقيّا فانتقل الى الاندلس
فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب
اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في
ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر
وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر أمره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب
اشبيلية بسببه وأتهم بمذهبه فاشار عليه بالغية عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها
وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدولة الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر فلتقي
القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه .
ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به
فوصل برقة فاضافه شخص من أهلها اقام عنده اياما في مجلس انس . ويقال انه خرج
من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من
عمره فاسف المعز لوفاته وقال : « هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق »
ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي
الفاظه قعقة وأنين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا
الشعراء . وكان أبو العلاء المعري اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا أشبهه الا برحى
تطحن قروناً » لاجل القعقة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ -
وانما فعل المعري ذلك تعصّباً للمتنبي

وفي كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم كالمتنبي في المشرق
وكان معاصراً له . وأكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند
كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضبة يوم مغارها هضبة ولا اليد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها لا انها علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها انها مرت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبه من نذاك كأنما مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هاني ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في أكثر مكاتب
أوروبا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلدان

٢ ج ٤

٦ - الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء . كان في بدء أمره
مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر .
وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير
من أشعاره على ألسنة الناس من ذلك قوله :

بالله ربكما عوجا على سكاني وعانباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآبي ذكره ومطالعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
وله من التشبيهات الايات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها لم ذا ؟ اما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤاً من زرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
انسانة لو بدت للشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد
كانما بين غايات الجفون لها أسد الحمام على طرق الهوى رسدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من
المدينة المنورة أكثره مقاطيع في الحمر والغزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ وبيتمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ - السلامي

توفي سنة ٣٩٣ هـ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد وسمي السلامي نسبة الى دار السلام. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ورحل منها الى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقني جماعة من مشايخ الشعراء منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالدين وأبو الفرج البغاء وغيرها . فاعجبوا ببراعته مع حداثة فاتهموه بان الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة — وذلك أن الخالدي كان في يده نار نجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلاً :

لله در الخالدي الاوحد الندب الخطير
اهدى لماء المزن عنده جموده نار السعير
حتى اذا صدر العنا ب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليه بعذره عن خاطري ايدي السرور
لا تعذلوه فانه اهدى الحدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من اشعر أهل العراق ومدح آل حمدان. ونزل على صاحب بن عباد باصفهان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدولة في شيراز فحمله صاحب معززاً مكرماً فاكرمه عضد الدولة وكان يقول : « اذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطار قد نزل من الفلك الي ووقف بين يدي »

ومن جملة مدحه اياه قوله :

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
ومن بديع شعره في مدح صاحب :

تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من أحسن اشعاره . وتجد اخباره ايضاً في

ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ - الببغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومي أصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت يده وبين أبي اسحق الصابي وأشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغرة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به أكثره في الغزل والحمر وفي الزهر فضلا عن قصائد المديح . وفي اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيهه قوله :

وكأنا نقشت حوافر خيله للناظرين اهلة في الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الأمد
واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة

واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ و يتيمة ١٢٣ ج ١

٩ - النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابو العباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عنده بعد المتنبى وكان اديباً عارفاً باللغة وقد اشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المتنبى ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهرأ حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قيص اللاذ يسعي عدو لي يلقب بالحبيب
وقد عبث الشراب بمقلتيه فصير خده كسنا اللهب
فقلت له بما استحسنت هذا لقد اقبلت في زي عجب
احمره وجنتيك كستك هذا ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الراح اهدت لي قيصاً كلون الشمس في شفق المغرب
فقوي والمدام ولون خدي قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وحجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبى وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلاً قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقص منه فخاض في احشائه
تمهلاً والبرق من اسنائه متبرقاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلقى الاحاظ في اعطافه الا اذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٨٤ هـ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب أوروبا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١
واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ وبيئمة الدهر ١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضي

توفي سنة ٤٠٦ هـ

هو ابو الحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبين فصارت النجابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حي . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من رأى (سامراً) . وقد اجمع الاكثرون على أن الشريف الرضي اشعر قرين لان شعراء قرين كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فاما مجيد مكثراً فليس الا الشريف الرضي . وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ودفن في الكرخ وراثه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن

أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي
في جلسة جلسها فأوصل إليها الحجاج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :
لمن الحدوج تهزهن الانيق والركب يطفو في السراب ويغرق
وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبي وللهدي نور على أسرار وجهك مشرق
وكان دارك جنة حصباؤها الجادي أو انماطها الاستبرق
في موقف تغضي العيون جلاله فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوق
مالوا اليك محبة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً أمير المؤمنين فاتنا في دوحة العلياء لا تفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فاني انا عاطل منها وانت مطوق

ويمتاز الشريف الرضي ببراعته في الرثاء وله عدة مرات اشهرها رثاؤه لابن
اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

أرأيت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثي كان صائباً
ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عين ولا اذن أو لا فعش أبد الايام مصدوراً
والناس أسد تحامي عن فرائسها اما عقرت واما كنت معقوراً

وللشريف المذكور ديوان كبير رواه ابي حكيم الخيري مرتب على أبواب : (١)
المدح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثي (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف
الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويلها زيادات . منه نسخ
خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند
في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن
لم تصلنا . وله كتاب اشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في
المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة
اشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته في ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٨ و ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ - صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغواني اشهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعاله	يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله	فلبسه خير له من الحفا
من دخات في عينه مسلة	فاسأله من ساعته عن العمى
من اكل الفحم تسود فمه	وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم	ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه	وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه	طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ - مهيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسياً واسلم على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب الشعر فمن قوله في القناعة :

ياحى على البخل الشحيح بما له	افلا تكون بماء وجهك انخلا
اكرم يدك عن السؤال فانما	قدر الحياة اقل من أن تسألا
ولقد اضم الي فضل قناعتي	وايت مشتتلاً بها متزمتلا
وأري العدو على الخصاصة شارة	تصف الغني فيخالي متمولا
واذا امرؤ افنى الليالى حسرة	وامانياً اقبنتهن توكللا

ومن بديع مدائح قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم	فكانما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تفل كتيبة	لاقيتها قسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ايات تتضمن العتب وهي :

اذا صور الاشفاق لي كيف انتم وكيف اذا ما عن ذكري صبرتم
 تنفست عن عتب فؤادي مفصح به ولساني للحفاظ بحمحم
 وفي في ماء من بقايا وداكم كثيراً به من ماء وجهي أرقم
 ارقت فما ضنا عليه وبينه وبين انسكاب ريثا اتكلم
 وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في أيام ابن
 خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ - ابو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيهه ابو الطيب المتنبي فاتحته -
 ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفياسوف احمد بن عبد الله بن سليمان بن
 محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء
 فيها . وكانت امه أيضاً من اسرة وجهية يعرفون بأل سبيكة اشهر منهم غير واحد
 بالوجهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ
 سعد الدولة ابو المعالي

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجذري فذهب ييسرى عينيه
 وغشي يمنها بياض . فكف بصره وهو طفل وكان يقول : « لأعرف من الالوان الا
 الاحمر لاني البست في الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر » لقنه أبوه النحو واللغة في
 حدائته ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر
 علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقرأون له كتبها
 وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه
 العمى من مباراة أرباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العاهم فقد كان يلعب
 الشطرنج والتزد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً . بل هو كان يقول « احمد الله
 على العمى كما يحمده غيري على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون
 ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد فأتى طرابلس واللاذقية وسواهما
 من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته إليها فاستقبله علماءؤها بالحفاوة. واطلع في أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلاً عن سائر العلوم. حتى إذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير. فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » وأخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب. وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم. اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه وفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه. ولزم الصوم الدائم قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعاً وأربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين. وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا أقواله وأخباره. أو يكتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩ وكان معدوداً من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب. أما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة. في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر. وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط أهمها التزام حرفين في القافية وقد نظم في أثناء عزله وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخلقة والنفس والدين. فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة فقالوا : « ان أبا العلاء أتى قبل عصره باجبال » وتمتاز اشعاره في عزله بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة. لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقطار على نوع أو نوعين من الاطعمة. على ان أكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب. وقد نقل أمين افندي ربحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين. وترجم بعض شعره أيضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنسية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمته قبل العزلة. طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمته في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
أما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً أكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل أبي العلاء: هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير. وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالمثل والجراد والنسر والفيل والنحل والصفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات. غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديده لولا ما فيه من اللفظ الغريب. واسكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات. وطبع أيضاً في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجايوث المستشرق الانكليزي مع ترجمة انكليزية وتعليق ومشروح تاريخية وأدبية مفيدة. وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران: هي من جملة رسائله ولكنتنا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها. وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلة وضمها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه أحد. فتخيل رجلاً صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في «الرواية الالهية» وما فعل ملتن الانكليزي في «ضياح الفردوس» لكن ابا العلاء سبقهما بيضعة قرون. لان دانتي توفي نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ هـ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه. واقدمها (دانتي) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين. والايطاليان أسبق الافرنج الى ذلك. وتقسّم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمنتبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي. ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين بسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله أو عملاً عمله فغفر له به. ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران - كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحياناً من الايات التي يمدّها الناس كفرة. وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملق السبيل: هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن أصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ح. ح. عبد الوهاب التونسي. وهي على نسق رسائله الاخرى لكن أكثرها منظوم. وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها وآراء

شوبهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢
 ٧ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والرديف : يبحث في الادب
 واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون. وانما ذكرناه لعل أحداً يعثر
 على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاعمية فقد قال فيه الذهبي «حكي من وقف على المجلد
 الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والرديف فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد»
 وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح
 الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي
 وكان مشاركا في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق
 ويظهر أثر ذلك في أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بامثلة منها لضاق بنا المقام
 ودواوينه شائعة فميزناه بنحو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد
 تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي
 بأمثلة اخرى في أمكنة أخرى

مناقبه ومنزله

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر
 في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال
 الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب أبي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة
 خاصة في الدين والطبيعة والخلقة . وهو أقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدرين
 ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعمد
 تخليف الاولاد جنابة . وكان يرى المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج
 وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان ففضى النصف الاخير من عمره
 لم يذق لحماً . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها أصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة
 قرون . وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها
 في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهم بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في
 تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم
 يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل التفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان
 خيراً لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين
 يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وايدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله
 في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات
الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة با كسفورد

لا ارتاد الأريب في معرفة الأريب سائر الشعراء

اسم عبد الله بن يعقوب بن أبي عبد الله الرضائي المحمدي في العصر العباسي الثاني

(ابن يعقوب المحمدي)

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن أحب
الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر
للباخري ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم .
وانما نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ أبو الرقعق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان

٤٥ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءً : ترجمته في اليتمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبدالله الحسن بن حجاج كان مجانناً : اليتمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي . جال
في ميدان المجون والسخف ما اراد . وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق .
ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها
خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ولم نقف على ديوانه . ترجمته

في اليتمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب
القصيدة التي قالها في حال غمه وبأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه
الا عطاء قليلاً فاعتل غماً ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد أن يختبره
فلما كان بعد أيام سأل عنه ففقده في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه
رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قات حقاً ولكن ليس يسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس
وقد تقدم أن الثعالبي ذكر بعضها للوأواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبد الله
العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخاميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من أسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص. «ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة للملأمة لسكل طائفة» وهو الذي يتغير مع العصر كما ينأ ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي. ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة. أما انشاء الكتب أي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض فهذه قلما يعنورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو أقل مجازاة للاحوال الاجتماعية. ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه. اذ ان لكل كاتب طريقة يبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصاً. فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكميم أو الرياضي. وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه. ولكنها ترجع كلها الى أسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارئ فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور. فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التألق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة. وذلك نادر وسعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال — كان الترسل أكثر تعرضاً للتغيير في أسلوبه وعبارته وهو ما يزيد بيانه هنا يغلب أن يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يتحداه معاصروه. كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنيها في ترجمة حاله . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة الخطاب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والتعرف نعتي ماصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لا يخافون مزاحمة أو فقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والحلفاء . فاذا خافوا سبقاً في بلاط نرحوا الى سواه والرخاء يدعو الى التأنق فتطرق ذلك الى انشاءهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم واثاثهم فاطالوا العبارة وتوسعوا في التتميق . ونبغ جماعة من أصحاب القراع تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم أخذ في التهقر . وهكذا أصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هالك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجمة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجمة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتتميق ولا يكون ذلك الا في الرخاء- والسجع اذا أتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً . ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وأمر أن يباع ويورد ثمنه في الحساب فاورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثرها من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشي للثوب . لا يزيد الوشي الثوب نفعاً للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفع

والستر ولكنه يزيد جمالا . والجناس أو البديع لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقا ولا سيما مع السجع . فقول أبي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعتاباً كرة . فما وجدت للعتاب اعتباراً . ولا قرأت من الكتاب جواباً . وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني . وعن تواضع لا يضعه ويرفعني » لو جعله مرسلًا بسيطاً لم يكن له ذلك الوقع في النفس ٣ كثر فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العامة التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى أبي العلاء السروي : « وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته . وأرغب اليه في أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرتة . ويزيل بركة الطول من ساعاته . ويرد علي غرة شوال فهي اسر الفرر عندي واقرها لعيني . ويسمعي النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض علي هلاله اخفي من السر وأظلم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واخني من قيس بن ذريح وابلي من أسير الهجر . ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل علي رفاقته التي يغشى العيون ضوءها ويحط من الاجسام نؤها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ أكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في أثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر . كقول صاحب بن عباد يصف فصلاً من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيتة فصيح الاشارة لطيف العبارة اذا اختصر المعنى فشرية حاتم وان رام اسهاباً اتى الفيض بالمد فصل قد نظرتة فرأيتة جسماً معتدلاً وفهماً مشتعلاً

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
فصل قد عمهم بنعمه وعمهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضاه جمعات جماجمهم بطائن نعله » الخ
وتفان آخرون بجعل الترصيع شرطاً شرطاً كقول الهمذاني من رسالة الى الخوارزمي :

انا لقرب دار الاستاذ
ومن الارتياح للقائه
ومن الامتزاج بولائه
ومن الابتهاج بمزاره
كما طرب الشنوان مالت به الخمر
كما انتفض العصفور بلله القطر
كما التقت الصبياء والبارد العذب
كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل ابي بكر الخوارزمي وابي منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه أو نعمته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم : « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم : « قد حملت الى حضرة الشيخ ابياتاً عانته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب أيضاً كقول ابي بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوباً وخرج من الحبس « كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى أبواب عملاً بسنة النشوء كما تفرع الشعر . فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنية والتعزية والمدح والثناء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختتم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيتي الا بالله عليه توكلت » أو بالحسبة ونحوها

٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنموت خاصة بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتح بها مخاطباتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة أولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « أطال الله بقاء الامير » ولؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان « لابي الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته كالتسجيع والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتسيم والتقسيم والارداف والتمثيل
والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميها الطريقة المدرسية
لأنها صارت مثالا توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير
اقتضاه حال الاجتماع سنذكره في مكانه

ومما لا بد من التنبيه اليه ان ما يجري عليه الكتاب من تحدي القدماء في
مذاهبهم وتقليد اساليبهم لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء
واسعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد . فينبغ في العصر الثالث مثلاً
كتاب يتحدون اسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون اسلوب المقفع أو عبد الحميد أو
اسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في أهل العصر
الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشاءهم صبغة خاصة به

المفصَّوَرُ أو المترسَّوَرُ

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً
حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من
المترسَّين في العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة
وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم أقوى اركان تلك النهضة في
النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ - ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان في
اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد
الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلاً عن
الادب والترسل حتى سموه «الاسناذ» وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني.

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان صاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيحيى . وعاد صاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد » يشير الى تفرد في العلم . وهو اسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لا تجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشتهر بكثرته وأخذ صاحب بن عباد عن ابن العميد وكان صاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له من ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخري واتبعها برقعة فلم يزد ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمى ارباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال: « ايها الرئيس اني لزمك لزوم الظل وذلك لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شتاة الاعداء وهم قوم نصحوني فأغششتهم وصدقوني فآتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة اقاومهم . ولم احصل من مدح بعد مدح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فان هي ؟ وما هي الا أن الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأنًا وأنورهم شعاعاً وأمدهم باعاً وأشرفهم بقاعاً »

فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المезде . واذا تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ماتحامد عليه » فقال ابن نباتة: « ايها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغني اذا مطل لثيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما قررت في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي » فقال ابن نباتة: « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك »

ولا كلفتني تقرضيك ولكن جاست في صدر ديوانك باهتك وقات لا يخاطبني أحد
الا بالرئاسة ولا ينازعي خلق في احكام السياسة. فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الال وولياء
والحضرة والقيم بمصالح المملكة. فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال»
فتار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى ان دخل ححرته وتقوض
المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول: « والله ان سف
التراب والمشي على الجمر أهون من هذا. فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه
مما كسأ فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمس من الغد ليعتذر اليه ويزيل
آثار ما كان منه فكانما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت
حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر
غير ابن نباته

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه
كلمتني وابن نباته والصاحب بن عباد وغيرهم. كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم
النظم والمقارضة — وهي أن يقول أحدهم شعراً أو بيتاً في وصف شيء أو حادثة
فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من أحسن شعره قصيدة قالها منها :

قد ذبت غير حشاشة ودماء ما بين حر هوى وحر هواء
الى أن قال وفيه مبالغة :

لا تغتم اغضاء تي فلعلها كالعين تفضيها على الاقضاء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني يوماً أقيك بها من الاسواء
فلوان ما بقيت من جسيمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل :

ظلت تظللني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
فاقول واعجباً ومن عجب شمس تظللني من الشمس

ترى أمثلة من ترسله ونظمه في بيتية الدهر الجزء الثالث . ولم يصاننا منه رسائل
بجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفائتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد في ابن خالكان ٥٧ ج ٢ وبيتية الدهر ٢ ج ٣

٢- أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضاً الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماما في اللغة والنسب أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصده صاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه للشعار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب : « قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال : « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفيينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراني والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن الفطحي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

أما ابو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣- ابو اسحق الصابي

توفي سنة ٣٤٨ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون الحزاني الصابي جد أبي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان ابو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه . وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤمله فقد عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب «التاجي» فقبل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال : «أباطيل انمقها واكاذيب ألفقها» فهاج حقه عليه ولم يزل الصابي مبعداً في أيامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عز الدولة يحرصه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالقصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . وما بلغنا من انشائه :

١ منشآت الصابي: في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاية الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالتجارب الرسمية في وصف الوقائع الحربية أو غيرها. منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاية أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة . كالعهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة وعمال الحرب يدخل في بنوع عشرة صنحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين أو العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من أبلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشآت المتقدم ذكرها وان كانت تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلا عن التجارب السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة
خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت
اما التاجي فلم يصلنا منه شيء
وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ وقيمة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء
٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ - الصاحب بن عباد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى
منزله من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان اديباً منشئاً عالماً في اللغة
وغيرها . أخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من
لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فليل له صاحب ابن العميد .
ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي عالماً عليه . وسمي به كل من ولي
الوزارة بعده . وقد وزر أولاً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد .
فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه نخر الدولة فاجر الصاحب على وزارته وكان
مبجلاً عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون
أو يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب
القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور
الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى
انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره
ينتظرون جنازته . وحضر مخدمه نخر الدولة المذكور اولاً وسائر القواد وقد غيروا
لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض .
ومشى نخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للغزاء ايماً . ورناء ابو سعيد
الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهش الى السرى اخو اميل أو يستاح جواد

ابي الله الا ان يموتا بموته فما لها حتى المعاد معاد

وكان شاعراً مترسلاً مع واع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلاً عن الكتابة .
وقيل فيه « انه لو رأى سبعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها جبل الدولة

ما هان عليه التخلي عنها « وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . (في يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفته اللغة فانه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم . والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلمية . وله في الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالاسطانة وترجمته في ابن خالكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ - بديع الزمان الهمذاني

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغوياً واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتديء بآخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الاسطانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ
٣ مقامات تعرف باسمه وهي أقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن عن فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علماً وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه أخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها في الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨
ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبد الرحمن
الهمداني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩
وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ وبيتمة
الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ - أبو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي - قيل له ذلك
لانه كان فراءً بجهد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا العصر وأهم ادبائه . ونعم الخاتمة
لانه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان
في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام
المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه الا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو اني أنصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الالمعي
اقضمته حب الفؤاد لحبه وجعلت مربوطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب
ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعتي كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة
سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمهيج وسحر
البلاغة والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي
في البيتمة أو غيره ممن ترجموهم . وهذه أسماءهم وبجانها مكان وجود الامثلة من انشاء
كل منهم وترجمة حاله :

٧ أبو الفتح البستي في بيتمة الدهر ٢٠٤ ج ٤
٨ أبو الفضل الميكالي » » ٢٤٧ ج ٤

٩ الحامي	في يتيمة الدهر ٢٧٣ ج ٢
١٠ الشابشتي	ابن خلكان ٣٣٨ ج ١
١١ التهامي الشاعر	» » ٣٥٧ ج ١
١٢ القسطلي	في اليتيمة ٤٣٨ ج ١

الادب والنساء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنشور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب لكنه يشتمل أيضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص في الامة أو رجالها أو ملوكها فينتقده أو يصفه بأسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن أسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحى اليه قريحته من النظر في الوجود أو المجتمع الانساني أو احوال الناس من حيث الادب أو السياسة أو الاخلاق . بقطع النظر عما يرحوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية . أو يشبهون بما يطرب الخليفة أو الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاية الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم أو تسليتهم وتفريحهم . وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق . فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي أو السياسي أو الفلسفي مما يقتضيه النظر في الخليفة أو نظام الاجتماع أو الدولة . لان ذلك لا يلائم اغراض اصحاب السيادة ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فاصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء امرؤهم . واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى أو سوء الاحدوثة أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال أدباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيئة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فذم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعراً فسموه الحكيم وانكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع وأخذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدونه كما فعل عمر الخيام رباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي أن يكونوا عليه من الكمال . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصالح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريد أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي أو الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتى وهوكو وروسو وفولتير وغيرهم ممن ألف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها بأسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو نكته توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر . الا نحو ما يؤخذ من كتاب كلية ودمنة وأمثاله وهو تلميحى وليس هو عربي الاصل . وقد ألفوا قصة عنتر مثلاً صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض مآثور هناك من المناقب فيتحداهم الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصاً بالعرب بل هو يشمل أكثر الشرقيين * ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرارهم للارتياح من الرؤساء. وهم اصحاب قرائح انتقادية فحصروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون * أو في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاة الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواء أو تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة أو القائميين على الدولة . أو في المهاجة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادئ الاجتماعية أو السياسية فانه قابل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف أن نقيس حال أدبائنا في تلك الاعصر بحال أدباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول على أن تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من أصفى الناس أذهانا وأدقهم نظراً وأأبهم للضميم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاءً أدبية لا مثل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقد، بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في إبان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغناؤه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً	ونحن بعدهم في الارض قطان
ان العراق وان الشام مذ زمن	صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة	في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل بخص الناس كلهم	أن بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقته	كنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من ثعالبهم	كأن ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا	فتعرف العدل اجبال وغيطان

لا يقل قوة عما قاله فيكتور هوكو من قصيدة « الملوك » وهي من أشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك : « اتظنون اننا نجبكم ! نحن الذين نشغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا نسال من اتعابنا غير
الجوع والعطش . وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعم . وعلى جانب من التبذير
والاسراف والفحش . نحن الخدم وأنتم الملوك . نحن الغنم وأنتم الذئب . نحن الفريسة
وأنتم المفترسون . تبنون القصور من أموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن
نقاسي نزع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش
والقتل والظلم» (١)

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف
الامة الذليلة بقوله :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امرأؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراءؤها
وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم

الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ومال بالاكثرا الى
النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد
الشعر بعد أن نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة
وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد المحصن بالمقابلة والموازنة — وان انكروا
الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبّت في
عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم
من انتقد الرواية والخبار كابني الفرج الاصبهاني صاحب الاغانى وعمر بن حمزة .
ونظروا الى فحول الشعراء فشرحوها أقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة
والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصولها وجمعوا بينها كما فعل الثعالبي امام المؤلّنين
في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر
في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

١ - ابو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية . وهو مع ذلك شيعي ويندر التشيع في بني أمية . واسمه علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وإنما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من أعيان ادبائها وافراد مصنفها . وقد روى عن كثيرين وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعا في ذاكرته ألوفاً من الاشعار والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث والانساب باسائدها واسماء قائليها ورواتها . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلب المتقدم ذكره . وكان يلتقي سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويحيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر . والف أيضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغريباء . وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبني أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرأ . وجاءه الانعام منهم سرأ فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعائة يوم وكتاب التعديل والاتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جمهرة النسب وكتاب جمهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتني على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ كتاب الاغاني : هو اشهر من أن يعرف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابيه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموي مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تم تأليفه حملاه الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه . ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الا اقتناه ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصحاح بن عباد كان اذا سافر حمل
كتبه على عشرات من الجمل فلما اتتني كتاب الاغاني استغني به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل اليها منها ٢١ جزءاً في نحو ٤٠٠٠ صفحة واسم الكتاب
يدل على المراد بوضعه في الاصل نعتي «الاغاني» فصدره بمائة صوت كان الرشيد امر
ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للوائح بدء فامر اسحق بن
ابراهيم فاختر له منها ما رأى انه افضل واطرف اليها اشياء اخرى . فسار ابو الفرج
على هذه الخطة معولا على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء . وقد
يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به ان يكون بين كتب
الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والشعار . لان المؤلف اذا ذكر ايئاماً
على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها ورجته والاحوال التي
قيت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك
وأسابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار
مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . واكثر أيام العرب
واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم وميادهم . وفيه خيرة أشعار الجاهلية
والاسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم
وحرورهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون
منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية و صدر الاسلام وايام بني امية .
وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لا يكتب في الاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويبين اوجه
الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان أشد وطأة في النقد على ابن
خردادبه وابن الكلبي مما على سواهما . وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها
عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه . واخذ عن كتب ضاعت
وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ ثم عثروا على جزء في بعض
خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً ووضع لها الاستاذ
جويدي المستشرق الايطالي فهرساً أبجدياً مطولاً سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني
كاملاً بمصر في ٢١ جزءاً سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدي مبني على فهرس جويدي .
وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ في كتاب منه نسخة خطية
في المتحف البريطاني . وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة في كتاب سماه «روايات الاغاني» وهو جزآن الاول في الروايات الادبية والثاني في الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨
 ٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار في العراق ومصر وغيرهما وفيه كثير من اخبار الشعراء وأشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك في نسبة هذا الكتاب اليه ويرى أنه للشابشتي وترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتمية ٢٧٨ ج ٢

٢ - ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هو ابو علي المحسن بن علي التنوخي . ولد في البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولي وغيره ثم تعين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتنقل في مناصب اخرى واهم آثاره :
 ١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية
 ٢ كتاب المستجد من افعال الاجواد : فيه حكايات وأخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج واياصوفيا
 ٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبار تاريخية . في باريس وترجمة التنوخي في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ وبيتمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ - ابو هلال العسكري

توفي سنة ٣٩٥ هـ

هو ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم في بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . و ابو هلال تلميذ ابي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ أما ابو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب هالك أهم ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش

أمثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في
الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جداً في بابه
٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه
في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم رأى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب
منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة
الخدوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على
الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات
والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة
والإلغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والقلوات والوحوش والطيور . والحادي
عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جليل الفائدة
لطلاب المعاني الشعرية

٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا

٦ كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو أول من ألف فيه

٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة

وأخبره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٢٩٩ هـ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا .
والثعالبي المذكور مدون اخبار العصر الذي نحن في صدره وخصوصاً الشعر
والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هالك ما وصلنا منها :
١ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المائة الرابعة
للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب
باعتبار البلاد . فافرد باباً لشعراء الشام وما كان من احوال سيف الدولة ومحاسن
الشعراء ولا سيما المتنبي وأبو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً
لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بوية وشعرائهم
وكتابتهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول لكل من ابي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاحبار . وانه أغفل الوفيات فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف أبو الحسن الباخري المتوفى سنة ٤٦٧ ذبلاً للتيمة ساه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . (أولها) باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد تاريخية هامة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة وأول من كسا الكعبة الحرير نليله .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش والممزق وأسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، واخيراً نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضيع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى درس طويل . وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز . يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ وفي الاستانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر

منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

- ٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت
- ٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس
- ٩ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: في الادب وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى اشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة
- ١٠ شمس الادب في استعمال العرب : جزآن الاول في أسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن
- ١١ الكناية والتعريض: في البلاغة ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقايح والعاهاث وغيرها. ومنه نسخ خطية في برلين وفيينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية
- ١٢ أجناس التجنيس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال
- ١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفيينا وباريس وكوبرلي وغيرها. وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل اخرى
- ١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين
- ١٥ اللطف واللطائف . مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفيينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي
- ١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالي والايام والغزل والخمرات والاخوانيات. منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة
- ١٧ برد الالكباد في الاعداد : هي مجموعة أخبار وماج عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فتلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلاً يقول «ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد» وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل اخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
- ١٨ التوفيق للتفريق : في برلين

- ١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية
وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة
- ٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين
- ٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في -
الكتابة من أقوال الشعراء والمنشئين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن .
وطبع منه منتخبات بالاستانة
- ٢٢ كتاب العلمان : في برلين والاسكوريال . و ٢٣ تحفة الوزراء : في مكتبة غوطا
- ٢٤ كنز الكتاب . فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه
نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة
- ٢٥ أحسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية
- ٢٦ أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانة وفي المكتبة الخديوية
- ٢٧ المهج : فيه اخلاق وواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية
في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه
- ٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء وازدادها . موجود في برلين
والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا
في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥
- ٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن
- ٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم
- ٣١ أحسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء
والكنايب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن
سنة ١٨٤٤
- ٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و ٣٣ المقصور والمدود : و ٣٤ المتشابه :
منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية
- ٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والخضرمين والمولدين الى ايامه .
وهو منتخب من أحسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم
الشعراء الواردة اسماؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي
الفضل الميكالي معاصر الثعالبي
- ٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
ورجعة الثعالبي في ابن خالكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ - الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشرف العلويين وكان نقيب الطالبين في بغداد. واسمه علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر. وهو أخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره. وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل إلينا. ومن تصانيفه:

١ كتاب نهج البلاغة: وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب إلى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر إلى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الأقوال. وإن كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعليل بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله. أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه إلى قواده ورجاله فهي له. وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر. ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر. وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعها. وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات: منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب: طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلسكان ٣٣٦ ج ١

٦ - ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده الحمديّة فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وناقت نفسه إلى التزويد منه فرحل إلى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها. فانتقل إلى صقلية وأقام

بماز الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ كتاب العمدة : وبه اشتهر . يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو اجل كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضع من قضى له وقضى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقايين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبجوره والبلاغة والايجاز والاستعارة الخ .. وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار وبمحت تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون : « إن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد الف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن شرف رسائل سماها « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس . وقد ضاعت سائر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ ج ١

كتب أخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ الجليس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب : للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة : للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين : لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ هـ منه نسخة

خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاستانة

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر أو حماسة الخالديين : هي مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة أبي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولهما أشعار نشرها الثعالبي في يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الخمر : لابي اسحق الكاتب القيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفيها وغيرها
٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد أضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال إن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد أخذه العرب في جملة ما أخذوه عن الاعجم في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كلية ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . وأشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ الف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات أو القصص

نمير

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية وهي القصة عندنا. وانما اخترنا لفظ الرواية مجازة لمفهوم القراء منها لانها عندهم أدل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن اذا كرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر أن العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الا لياذة ولا الانياد ولا غيرها من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبله بن سالم وغيرها . فما نقل عن الفارسية كلية ودونه . وكتاب رسم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزار افسانه . وشهر يزداد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انوشروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب أدب الهند وغيرها : وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على أننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها اشهرها قصة عنتر والف ليلة وليلة وأبو زيد الهلالي والوزير والملك سيف والملك الظاهر وعلى الزبيق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهمنها هنا القصص والروايات التي دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التي وضعوها

من عند انفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها . كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصية والنار . وتجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميمهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنتر وغيرها على أيدي القصص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائى يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادىء الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يببالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتشعب حتى يقضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . وربة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبي عبيدة وأمثالهما . وتوسى مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما توسيت أسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضاءه . وهي تتفاوت بعداً عن الحقيقة وقرباً منها وصار بعضها يتلى في المنازل والاندبه مجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملاً ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية أو هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل اداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم . واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضمها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٢٠) وبيننا هناك أن هذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدرج . وهي أحسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى ألسنتهم كاملة ومأخضة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في أوائل تكونها لانهم أسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو أيام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) يشتمل على حوادث عديدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من موافق كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الأشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنتره وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز واشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصا عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطى وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائين شيب بن هيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يلها قصة قطيعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنتره ويتخلل ذلك اشعار حماسية

ويلها حروب بين وائل واليمنيين سببها أن اسيراً كان عند كليب فقتله كليب .
ودخل في هذه القصة كليب ومهلل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها
استغرقت مائة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحامسات ومبارزات ومناشدات
وغير ذلك حتى يخيل للقارئ انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى
اسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تدارتها الايدي وتناقلها القصاص
شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن
وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطأ في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس .
والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ .
وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفصيل نظماً خيالية أراد بها بيان حماسة العرب وقوة
ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . أو لعل الكاتب
أخذ شيئاً من رواية ابن اسحق وأتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة
١٣٠٥ يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها أقرب
منها الى الرواية الخيالية . مبنية على حادثة تاريخية في أصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل
سبب الحروب بين شيان وكسرى انوشروان أن كسرى طلب من النعمان ابنته
الحرقة بنت المتجرده فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تم
عن حداثه نظمها فضلاً عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ومجمل
الحديث فيها مروى عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب
بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة
الانسان من الميل الى المبالغة فيما يقصه استلذاناً لاجاب السامع . وفي بعض الناس
ميل الى تزويق العبارة وتطويعها والتوسع فيها . وتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير
قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوفاً يدتنا اليها
هوميروس فان لها أصلاً تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى
الى هوميروس فدونه أو أمه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء
انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها
تمثيل العفة او التفاني في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدر الاسلام
ككثير لبني وجميل بثينة . فالفوا قصصاً غرامية فضجت قبل انقضاء العصر الثالث
الذي نحن في صدره . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب
مليكة ونعم وابن الوزير . واحمد وداحة . وقصة ابي العتاهية وعتب . واحمد بن قتيبة
وبانوحه . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن
اديم ومنهله وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبايب المتطرفات من النساء
كقصة ريحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان .
وسلمى وسعادة . وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين
الانس والجن وغير ذلك . واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ - القصص المنقولة

اما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب آداب
الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل آداب
تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماؤها بعضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاً واسماراً
يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص
الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . وهي مشهورة ومتداولة
ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها . وعندنا انها مؤلفة من
قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصل نقل عن الفارسية
قبل القرن الرابع للهجرة نعتي كتاب «هزار افسانه»

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ قال : «وقد ذكر كثير من الناس ان هذه
أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها وان سبيلها
سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب
افسان وتفسير ذلك في الفارسية (خرافة) . ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب
الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجارتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في أصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية «ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد. فزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تحرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن اتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى أن رزقت منه ولداً اظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عاينه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها. وكان للملك قهرمانه يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لجماني (الصحيح اهما) ابنة بهمن» وهذا الوصف ينطبق على الف ليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد. ولا ندري الآن أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا. ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل أسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كمشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من الماليك أو رجالهم كإبي طابق ونحوه. ولا يعمل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص وأسما كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والارجح أن تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر. ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفرق بين أوديسة هوميروس وانيادة فرجيل. فان هذه اكثرها منقول عن الاوديسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل. ولهذا السبب يصح أن يقال عن الف ليلة وليلة أنها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملهيات والتهتك. وقد وصفت المرأة فيها وصفاً يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها. وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال. وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور. وقد تولد بالتمو التدريجي قبل تدوينه

لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره في الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير والوادي الذي حجارتة من الالماس ويعج بالافاعي عجيباً . وجبل القروود والشعابين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة وانما تما بالتناقل وأصله مبالغة قايمة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار في أخبار الهند مما فصلناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب . فبالمغاة وسط بين الحقيقة والخرافة لوتنوقت شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على أن ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولا سيما فيما تلد المبالغة فيه من أخبار الابطال والفاحين . والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنزة مقابلة المائة والمائتين أو اكثر من الرجال وحده وذلك مع بعده لا يخالف نواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المكدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية



ش ١٥ : الاسكندر المكدوني يحارب اقواماً رءوسهم وحشية
« نقلنا عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »



ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواما متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقل عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في أثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلى آدمي والنصف العلوي
وحشي (ش ١٥) . واقواماً وحشين لكل منهم ست ايد (ش ١٦) . وأنه
حارب جنوداً من السلاحف وأخرى من التنين . وأنه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة
قرون ، وبارز مرة أخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين
علمهم . وفي (ش ١٥ و١٦) أمثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصة قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجوهر
والحلم أو الوفاء أو غير ذلك . كقصة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى
البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخديجة
والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة
والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان .
وبعضها يقرب من الواقع ويطلق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات
على السنة البهائم كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها
وبالجملة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاعراض . عبارتها على
الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وأعصرها . على أنها لم تبق كما
وضعت لان النساخ والطابعين نفحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقالت

الى أكثر لغات اوربا نقولا تختلف قربا من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب
وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة
وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات ينجل الاديب من
تلاوتها حذف من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من أمثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدمة ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين
الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر
ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشيارى قال في وصفه : « وابتدا أبو عبد الله
محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف
سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر
المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في
الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة
وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء
بخط ابي الطيب أخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسمار والخرافات على السنة
الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود
كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصلنا من هذه الكتب وأمثالها غير الف ليلة وليلة

وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ظهرت قبل انقضاء العصر
الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر أبي ضمضم
ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين
ايدينا الآن كقصة الزير والزييق وبني هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

وزيد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عند الافرنج لانه يمثل الاخلاق
والآداب والعادات على المراسح ليشاعدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا
التمثيل على المراسح ولا ألفوا فيه . وقد عد بعض المستشرقين المقامات كمقامات
الهمذاني أو الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما
يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال
والحكيم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن

يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة. وهي في الغالب مبنية على المجون واتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصي (ايوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعبيه وتفريعه . على ان ابا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعني رسالة الغفران فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها



ش ١٧ . تشخيص عاشوراء في ايران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء. وتبتدىء هذه الرواية يوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله * او هو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل * فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكثوم وام ليلي وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيكون وينديون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة يحفظ بها للاستشفاء * وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ولكنهم لم يأتوا شيئاً كثيراً في النحو وقبل الذين الفوا فيه من عند أنفسهم • واكثر ما دونوه شروح على سيديويه أو إعراب أو نحو ذلك واكثرها ضاع • وهالك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من أهل هذا العصر وبقى منها ما يستحق الذكر ترتيبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ - ابن خالويه

توفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه أصله من همدان ودخل بغداد وأدرك حلبة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم أقام في حلب وتقرّب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة • وله معه محاضرات حسنة • ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في إعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوربا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية ديرنبرج • وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ وبيتمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ - ابو بكر الزبيدي

توفي سنة ٣٧٩ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي • وكان أوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير • ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناؤه فعلم هشام المؤيد ولى عهده الحساب والعربية • وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطه الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد ألف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة وأخذ السيوطي عنه في المزهرة ولا نعلم خبره . وله كتب أخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيويوه : استدرك فيه أشياء فاتت سيويوه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ يتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ - ابن جني

توفي سنة ٣٩٢ هـ

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلية قرأ على ابي علي الفارسي . وكان أبوه مملوكاً رومياً ولعل اسمه « جني » معرب عن لفظ يوناني مثل « جنائس » توفي ابن جني ببغداد وهو أعظم نحوي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هالك أشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة . كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في أصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقهاء . وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها وما أخذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣ و ٤ في مكتبة غوطا . واجزاء أخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخمة في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على أحكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف واين يكثر أو يقل من حيث

موقعه من الالفاظ . وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضع التي تمّ طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتني راغب باشا وكوبرلي بالاستانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين وأياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المبهج . هو شرح اسماء شعراء الحماسة شرحاً لغوياً لا تاريخياً . منه نسخة في

المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي . أو جمل أصول التصريف . مطبوع في ليسك مع

ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التنبيه : منه نسخة خطية في ليدين

١٢ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخّم في نيف و ٤٠٠ صفحة فيها شرح

لغوي نحوي موجود في ليدين وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جني في ابن خالكان ٣١٣ ج ١ وبتيمة الدهر ٧٧ ج ١ وطبقات الادباء ٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر في العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً - فان في

الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم

ما يستحق الذكر :

٤ ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف

عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد

وترجمته في ابن خالكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة ٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه

تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب

اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منها شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه

الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم

الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خالكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ابو على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للعكبري : وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧
٧ - ١١ ابو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦ والربعي سنة ٤٢٠ والاقيلي سنة ٤٤١ والثمانيني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه أن فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبع من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سفرد لهم فصلاً خاصاً بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ - المطرز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر أئمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في أكثر نقله ويقولون لو طار طائر لقال ابو عمر « حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه املى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ - ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جده من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة . واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لها ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناء على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أي الف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا تنق في مكتبة باريس
٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ - ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر . وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل اليها منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعد من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة
٣ « الحكم والامثال » : مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة أبي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣
ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة
المتوفي سنة ٣٩٩ والسهماني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧
وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفي
سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن
بنا أن نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجماً فيه ٤٠٠٠٠
كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . وأقدم معجم لغوي
في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل
الميلاد . ونحو ذلك الزمن أو بعينه ظهر اقدم معجم للغة هوميروس ألفه ابولونيوس
الغراماطيقي الاسكندري في زمن أوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة
١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى
المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

مآخذ المعاجم العربية

نزيد بالمعاجم كتب اللغة التي تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعاني
المتشابهة أو المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار
مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام
بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧
فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه أو
يأخذونه عن سماعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم

وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولاً في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والحيل والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر لكسائي وابي زيد والشيباني والقالبي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي . وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفي سنة ٣٢٧ هـ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالبي . وأبينة الافعال لابن القوطية الآتي ذكره ومنها كتاب «ديوان الادب» لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره . جعله على ستة كتب أولها في السالم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وأفعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على أن الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وقد ذكرنا في صفحة ٩٧ اسماء القبائل التي أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم:

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونظويته . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالبي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ - التهذيب للازهري

المتوفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر طلحة بن نوح بن ازهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطبايعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في أسرهم دهرأ طويلاً يشقى في الدهناء ويرجع في الصمان ويقيظ بالستارين فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمّة . فلما ألف كتابه « التهذيب » أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم واسماء الذين ساءوا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي في الاستانة ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحتاهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثاني بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جداً

٢ كتاب غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلي

وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ - المحيط للصاحب بن عباد

المتوفي سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه « المحيط » مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث في المكتبة الخديوية

٣ - المجمل لابن فارس

المتوفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة . وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب بن عباد . وكان استاذ عصره وقد خلف مؤلفات ذات شأن هاك أشهرها :

١ كتاب المجمل في اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة. أخذ اكثرها عن السماع واخذ عن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابدجية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية في برلين وغوطة وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد ويني جامع وكوبرلي . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه

نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر : في برلين

٤ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطي بالمزهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحبي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . تسمى بذلك لانه

ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه اجثا في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة. جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم

ساعب لاغب ومايق دايق والسيف والليف. منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة

الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ - الصحاح للجوهري

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . أصله من فاراب ببلاد الترك ولذلك

سموه الفارابي ايضاً . وهو غير أبي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلاً . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فاتتق من الفاظ اللغة ماصح عنده فجاء اوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهرى وجمهرة ابن دريد . ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع « قلب » مثلاً قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي . ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسمع من عرب البادية هناك لانه عاشهم . وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت في معجم الادباء قال : « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ ابي منصور عبد الرحيم بن محمد البيهقي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعتري الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال ايها الناس اني عمات في الدنيا شيئاً لم أسبق اليه فسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق اليه . وضم الى جنبه مصراعي باب وتأبطهما بجبل وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم انه يطير فوق قمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فيبضه ابو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه ابو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرها . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢ ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من أهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهرى وغيره وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . والف كثيرون في نقد الصحاح للأسباب التي قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢ وللجوهرى هذا فضل في تسميم علم العروض والزيادة في أوزانه^(١) وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ وبيتمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ - الجامع للقزاز

المتوفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزاز الفيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ - المواعظ للتياني

المتوفي سنة ٤٣٦ هـ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من أهل قرطبة . الف المواعظ وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد . لكن الكفاية ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ - المحكم والمختص لابن سيده

المتوفي سنة ٤٥٨ هـ

وهو آخر اصحاب المعاجم التي ظهرت في ذلك العصر وأعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرمي الاندلسي كان ضريراً وأبوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فاخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هالك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل الفاظها وهي :

علقت حبيباً هنت خيفة غدره قليل كرى جفني شكا ضر صده
سبا زهوه طفلا ديانة نائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحده
نواظره فتاكة بعيمده ملاحظته اجرت ينايع وجدده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد اتقى شواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربي والمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفي سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصص : وهو معجم معنوي أي أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه أوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبي اكسفورد والاسكوريال . وهو أوفى كتاب في بابه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية أو الامم أو الاشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية . واكثرهم يقربون الكتاب ويفرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة باني اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود الغزنوي بالعتي الآتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة أو الدولة يدون غالباً في أواخر أيامها أو بعد انقضائها .

وأما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بايماز منهم . ونظراً لتوالي
التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتقلها من العباسيين الى الطولونيين
فالاخشيديين فالفاطميين ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها
وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف
أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلاً أبو هلال
العسكري وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من
توالي الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فال مؤرخ يصف ما سمعه
ورآه من الغرائب . وأكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هو نفسه من أهل الاسفار
وكذلك أبو زيد الباعخي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في
العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الآتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها
كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون
عن الاتقاد تحاشيا من التعرض للاحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعه وهم
مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه
ونبدأ بذكر التواريخ العامه ثم الخاصة ونرتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامه

١ — المسعودي

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو علي بن الحسين بن علي ذرية عبد الله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي .
نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طاب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان
سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمتصورة
ثم عطف الي كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى
بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسکر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى
سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والثغور الشامية الى دمشق . واستقر أخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفي في السنة التالية . ولم يفتر في اثناء اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد . ولف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضع شتى اهمها في التاريخ وهالك اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من أن يعرف لشيوعه وقد طبع مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الخليفة وقصص الانبياء مختصراً ثم وصف البحار والارضين وما فيها من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى أيام المطيع لله العباسي (توفي سنة ٣٦٣) ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يصلنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري . وأما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لاتجدها في سواه . ولذلك فقد عنى المستشرق باربييه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المرآش في مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١

٢ كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة . وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من الاشارة اليه في مروج الذهب - اذا اختصر الكلام في باب قال : « وقد فصلنا ذلك في كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن . وليس منه الا الجزء الاول في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط: هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضا ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق^(١)

٤ كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتركيبها وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانباء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في لندن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حمزة الاصفهاني

توفي نحو سنة ٥٣٥٠

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقبياً في بغداد باوائل القرن الرابع وأصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعود في ما كتبه على المصادر الفارسية وأشهر كتبه: ١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانباء : رتبهُ في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس والروم وغيرهم. ويوجه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة. طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن ٣ كتاب الخصاص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النديم

توفي نحو سنة ٥٣٨٥

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه اول من دونها منذ نحو الف سنة في «الفهرست» ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان. فهو اول من الف في آداب اللغة واليك وصف كتابه:

كتاب الفهرست : بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة واصحابها فالاسفار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات وأخيراً الكيمياء واصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وتمامه والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والناشي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة أدب لا تثنى لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشي

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو ابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابناؤه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهریار وتاريخ ملوك اليهود والانبيا وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصغرى التي تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ - مسكويه

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو أبو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم . وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء وانطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك وتفتت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل أنيقة على أسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخلق وينتهي سنة ٣٦٩ هـ ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كايثاني المستشرق الايطالي في أمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ اندكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاستانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة أجزاء عنيت لجنة تذكاري جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصور الاصل الخطي كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصيغة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلا لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكي باشا .

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات أيضاً تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق: هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وأفعالها وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في اسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقنع العقل بأكثر مواده . ويتخلل ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تحليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها وراتبها . وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ - صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ هـ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى أحوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن وتنف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ هـ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضاً

وهو غير صاعد بن هبة الله الطيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

أصحاب التواريخ الخاصة

١ - أبو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي كان يقيم بمصر الى أوئل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدي يشتمل على ماجاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدي باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ هـ منه نسخة في المتحف البريطاني وهي الآن تحت الطبع بعناية كونينغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاية مصر : طبعه كونينغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وقد اخذت لجنة تذكاري جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ - أبو عبد الله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينة من قضاة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ هـ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ - أبو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه « ما كفي من اخبار الايام » . منه نسخة في الاسكوريال

٤ - ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان اروى الناس للاشعار وأدركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعا باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها وأحوال فقهاؤها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد ألف كتاباً مفيدة في اللغة ويقال انه أول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنسية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤ وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ - ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

- ١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا
- ٢ تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس
- ٣ اخبار سيديويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة
- ٤ تمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يبتدىء بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي الفرضي. ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً بلبنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ هـ مات في تلك السنة. ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧ و٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عز الملك المسيحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسيحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات. وقد ألف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك. لم يصلنا منها الا القليل. وهالك ما وصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر: ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة. وذكر نيلها واحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب. ويتخلل ذلك اشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم. وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة. فهو أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضه في مكتبة الاسكوريال

وقد ألف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس وترجمة المسيحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد ألف فيه. وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ - ابو النصر العتيبي

توفي سنة ٢٧٤ هـ

هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي . وأصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقتبل على خدمة الآداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب ألفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه

اليميني : هو الكتاب الذي اشتهر ابو النصر العتيبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجماً على أسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي يتيمة الدهر لكنه ابلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرماني وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحيد الدين النجاتي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومنشن وفيينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبترسبرج ويني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جداً مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابي النصر العتيبي للميني الدمشقي منه نسخة في فيينا وبترسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتيبي . وبساتين الفضلاء للنجاتي في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكاني . ومن هذه الترجمة نسخة في فيينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨ وترجمة العتيبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ - هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو ابو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشيء صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئيا اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب بن محمد بن خلف . وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبري قد وفي التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده امكن اكثرها ضاع . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدرود الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اما كن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب ايضا كتاب الاعيان والامائل

وترجمته في ابن خلدكان ٢٠٢ ج ٢ وبيئمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ - القضاعي

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي . تولى القضاء بمصر وقد انا به المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقرئ في خطه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنه ضاع وهاك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :
١ كتاب الشهاب في المواعظ والاداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ
في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الحديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليفة الى سنة
٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد

٣ كتاب عيون المعارف وقون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة
والانبياء وبني أمية والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ وكلاهما
في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني
٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره . ويسمى أيضاً
اسناد الشهاب موجود في المكتبة الحديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة
وترجمة القضاعي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ - أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة
مؤرخي هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان
المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور
وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ
الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ هـ وله مؤلفات
تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقهاء واللغة وغيرها اكثرها
ضائع وهالك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علماءها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه
اشهر لكنه تبعث فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم
اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة
الحديوية . وقد نشر المستشرق سالمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً
على حدة في ثلثمائة صفحة تحتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها
ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها
الناشر بجواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخطها .

والكتابات على اجماله مروى بالاسناد على طريقة المحدثين

٢ الكفاية : في معرفة أصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف أصحاب الحديث : ٥ المؤتلف تمكلة المؤتلف والمختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشبهه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم وأخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

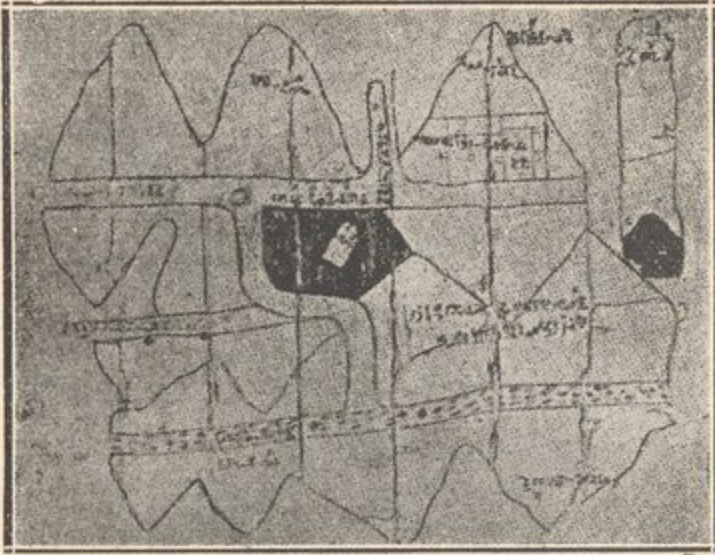
الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يننون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تاماً . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وافريقية وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاطلانتيك وعرفوا أصقاع الارض أكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا أمثلة منها في انقاض بابل واشور
ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراغة



ش ١٨ : خريطة قديمة من زمن رمسيس الثاني

أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك
والجغرافية . وكانوا يعملون اساس رسومهم قياس العرض والطول . واول من رسم
منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن
المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبينة على علم الفلك كما
فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا
يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة
وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين
الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق
والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها. ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات
المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان
يكون دائماً أعلاها شمالاً وأسفلها جنوباً ويمينا شرقاً وشمالها غرباً . أما هم فالغالب
عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلا قد تكون

شمالاً والزاوية المقابلة لها من أعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩). أو أن تكون الزاوية بين الأعلى واليمين غرباً وتكون المقابلة لها في الأعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) أو غير ذلك على أن العرب أخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الأبعاد بين الأماكن وأقدم من عينها منهم الشريف الإدريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره— وهالك تراجع اصحاب الجغرافية العامة :

اصحاب الجغرافية العامة

١ — ابو زيد الباهلي

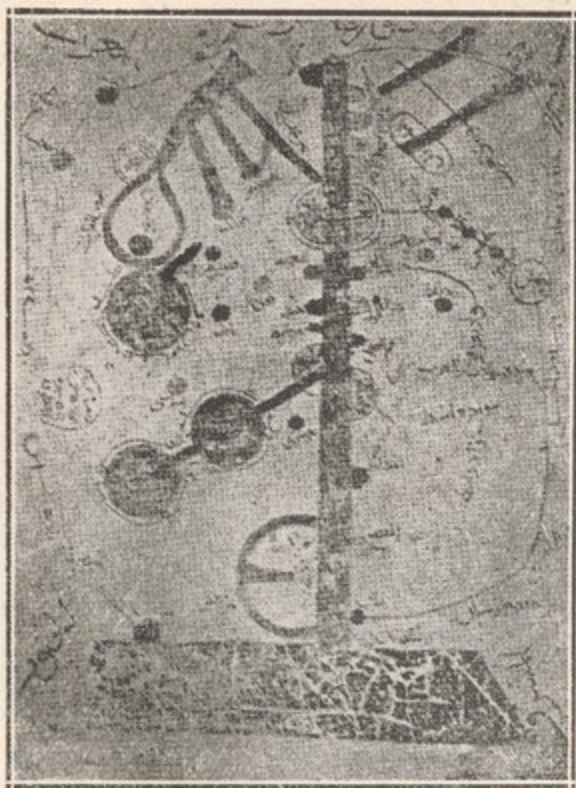
قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :
 صور الاقاليم : وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لان المؤلف اراد تصوير الاقاليم فالف هذا الكتاب وسماه « صور الاقاليم الاسلامية » فرسم الارض وأشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه باقاليم الاصطخري الآتي ذكره لان هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح احوال البلاد . فنكتفي بشرح جغرافية الاصطخري

٢ — الاصطخري

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو ابو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ويعرف أيضاً بالكرخي له كتابان :
 ١ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور اقاليم الارض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلاً . فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وأرمينية واذربيجان والخيال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وماوراء النهر ومسافاتها . وقد وضع ذلك كله بالخرائط وبسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط المشار اليها ملونة مثل الاصل تماما . وفي ش ١٩ صورة تمثل العراق وش ٢٠ يمثل الشام



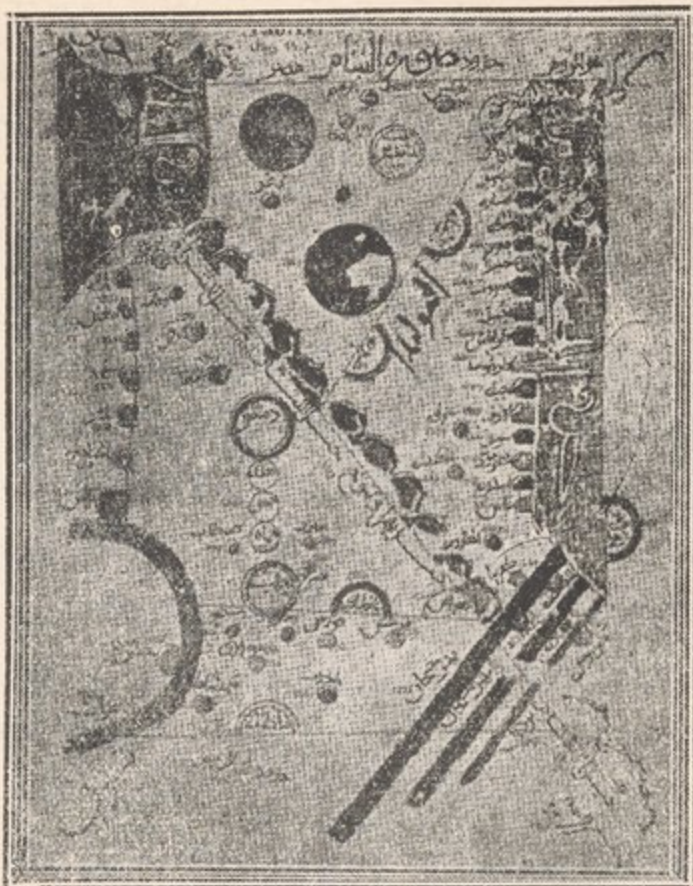
ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع في لندن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه وقد قال المؤلف في صدره انه عوّل فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ - ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع في باريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص ببارم طبع في باريس سنة ١٨٤٥



ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ - المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي. ولد في بيت المقدس وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى السند والهند والاندلس. وقد عول في كثير مما كتبه على اختياره الشخصي مما شاهده بعينه. وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها. واستفاد أيضاً من سابقه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر. صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه بانتقاد. ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تاليفه وجمع حقائقه فقال : «وما تم لي جمعه الا بعد

جولاني في البلدان ودخولى اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي
القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتابة الحديث ومخالطة
الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد
والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة
الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلت الى الاجناد
حتى عرفتها وتقنيته عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى
رتبتها وتدرري في السكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى احصيتها « الخ
وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم :
« ورسنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية
بالصفرة وبحارها بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة
ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد
في الطبعة التي بين ايدينا . وقد طبع مرتين في مجلة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه
الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ - هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض
ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قوسراي في الاستانة لم
يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له . وفيه عشرات
من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في مجلة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سراييون

وهي جغرافية ما بين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل
ايام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية
المستشرق سترايخ الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخراجها من وصف
المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واطرافها وشروح جزيلة الفائدة
وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الإسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الإسلامية في اوائل الاسلام الى القراءة والتفسير والحديث. ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو المدن وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني. ونشأت في أثناء ذلك فروع اخرى من علوم القرآن أو العلوم الإسلامية الدينية على أثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع أخرى في العصر الآتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الإسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة. ومن ينظر في قضاياها وأحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل. أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروع والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبع في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء. والبعض الاخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر. وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو:

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة. ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي. وفيه فصول في نفي الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن. وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك. وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها. وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « أنه من العلوم الشرعية الحادثة وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوف أو الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون أن اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظ يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλος (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلاً عن التصوف وقد ألف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ هـ وبهامشها تقاريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . و أبو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد ألف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالي بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الأئمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر في أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت ترجماتهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن الماوردي

توفي سنة ٥٠٠ هـ

هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التي وصلت الينا وهاك أهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وامارة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام النية والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وأنواعها . وما اختص بيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدينية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه اجاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

- ٣ نصيحة الملوك : في باريس
- ٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا
- ٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة
- ٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في أقوال النبي من ذلك . منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة
- ٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في لندن
- ٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال
- وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الورثة وأشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكرم ثم ابو المعالي ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجالاً فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ و ابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم ما يستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسامين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لا يشق لهم غبار فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروع الطبيعى كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلاً خاصاً . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثروا الاطباء على الخصوص في هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في اول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن في التطيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد اطباء النصارى فقط في خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . منهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للأطباء عندهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويحيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . وأشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيدلة وكانوا كثيراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر ولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغداد ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند يرافقه في أسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ول هؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرزقين . ومنهم من يطيبون العامة وهم غير مرتزين وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطيب ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو علي الحسين ابن عبد الله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرمين . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل في الدرس والبحث

واتفق أن نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرىء على يده فقر به اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب والملوك مناظروه أو مريده . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبية عليه . فآثرت في مزاجه حتى أماتته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره



ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لا يزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد — فن كتبه الطبية الموجودة هناك ١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابي بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطأ في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب المبدأ والمعاد ٣ الالهيات ٤ الجمانة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرفيين ٣ رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب أوروبا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لا يوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب أوروبا ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد أوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم الحكماء ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللأفرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته وكتبه في الفرنسية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء والنبات وهي من فروع الطب بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وإن تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عنى الأفرنج بعد نهضتهم الأخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا أن العرب هم واضعو اساس هذا الفن وهم أول من اشتغل في تحضير الادوية أو العقاقير فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم أول من ألف الاقرباذين على الصورة التي وصلت إلينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيدلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن أقرب الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التي أخذها الأفرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية أو الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على أن تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجارهم ومستحضراتهم — وأول من اشتغل في نقلها إلى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة. وقد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيديروكلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة)



ش ٢٢ : العرب يستقطرون العقاقير

والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنينج والبورق. وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل اليها خبرها. على أننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في أيامهم مما لم نسمع له بمثل في تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضي — فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب أمتع احتراقه ولم يذكر ما هي. ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث أنهم هم الذين ركبوه. وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتنصيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة — أول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد أخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية



ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقاقير التي لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني انكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . فكان به ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيبلا على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالمقي النبائي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعان منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابيه وكان عليه معول أهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات . ومؤلفاته الباقية :

١ كتاب المغني في الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبي . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس
٢ جامع مفردات الادوية والاعذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنسية بقلم لا كلارك وغيره

٣ ميزان الطيب : في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات اطباء ١٣٣ ج ٢ وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كياوي العربي صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيها اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك: «ما أظن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة»

فاضطر اصحابها الى التستر فألفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض وأشهرها جمعية « اخوان الصفا » تأسست في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو احمد المهرجاني والعمري وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سرّاً ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصاححة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا أسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مبادئ الموجودات وأصول الكائنات الى نضد العالم فلهيولى والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات ووصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلومات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي أو رياضي أو فلسفي أو الهني أو عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك آراء لم يتصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرّاً الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد ابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١ وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم الجريطي المتوفي سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد ان يفسر الفلسفة بالدين

ما أخذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها في درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام:

- (١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903
- (٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897
- (٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878
- (٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876
- (٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840

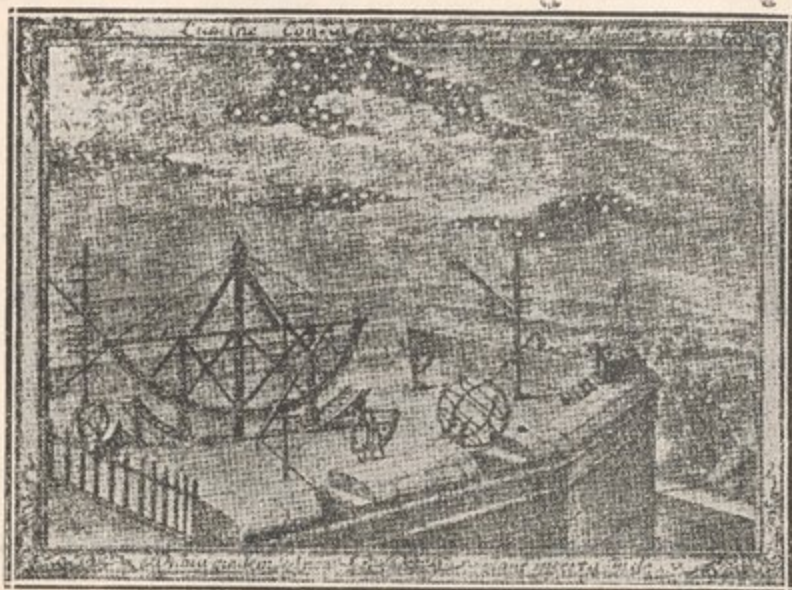
غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية . وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقال في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ومقالة اخرى في فلسفة العرب لحسين بهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين «طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة و «تراجم الحكماء» لابن القفطى وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الآتي فنبغ
الزهر اوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

النجوم

كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا
فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم
الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من
صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخالفوا آثاراً وصلت اليها وان
كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاذان وابو معشر البلخي المتوفى سنة
٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد
بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبستاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان
اوحد عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر
الثالث الذي نحن في صده فاكثر فلكي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير
وسنأتي على ترجمته واعماله



ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول ما يستلفت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال
صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلمهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها
ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الكيمياء . وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج
ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس
ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبا



ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لاجل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد
وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣
صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البيروني

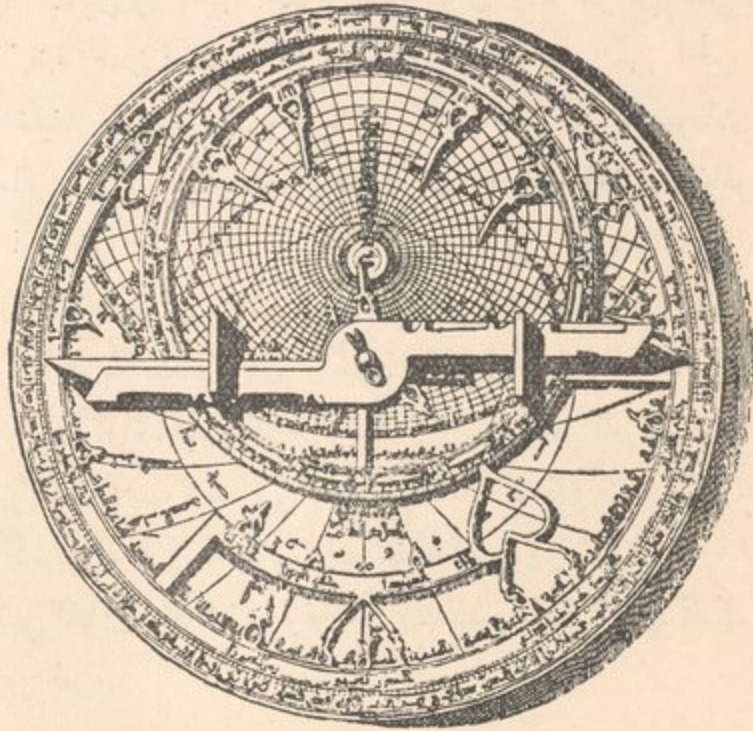
المتوفي سنة ٥٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضيات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن
احمد البيروني نسبة الى بيرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع
فيها على علوم الهندود فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أوالمؤلفة في هذه
الفنون وأقام مدة في خوارزم . وأكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ
وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره اليها :

١ الآثار الباقية عن القرون الخالية : ألفه للامير شمس المعالي وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك. وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر. فهو من قبيل التوقيت أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه. وما أصاب التقاويم في أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل. وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب في الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقويل من آدم فما بعده من رجال النوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والسكندان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها وبازاء كل ملك مدة حكمه الى زردجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفضول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المنتبئين واممهم من أهل الاوثان أو أهل البدع في الاسلام وأعياد الفرس . ومذاهب أهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . وأعياد النصارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل في أيام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها وغير ذلك مما تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عنى المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

- ٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨
- ٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين وأوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر
- ٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني وأكسفورد
- ٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

- ٦ استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس
 ٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها . هي مسائل هندسية
 وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن
 ٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي بلندن
 ٩ مبحث في مبادئ العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس
 ١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد
 ١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : ألفه للملك المعظم ابي الفتح مودود .
 موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا
 وترجمة البيروني في طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ وفي مقدمة الطبعة العربية للاثار الباقية



ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبغ غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالبوذجاني المتوفي سنة ٣٨١
 وابن رستم الكوهي والمنجم القمي وأبو الحسين الصوفي وابن اللبان الجيلي وعبد
 الأعلى الصدفي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم. وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان
 التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن
 اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم أولئك العلماء في اما كتبها

الرياضيات

زريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم ومن اكبر ما أثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند وسائر اقطار العالم . قال العرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم أخذوها عن العرب وأول من تناول تلك الارقام من الهنود أبو جعفر محمد موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه . ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لديوفانتوس والآخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء أو هي أصول ضعيفة لا يعتد بها . وهم يعتقدون أن الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما ترى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان وقد عني العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . وألف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب وابو خنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨١ هـ وأبو العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما حدثه المسلمون في الهندسة أنهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة فانه ألف كتاباً جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلينيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراكين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابلونيوس . وأدخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاكر اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الاولين كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية واشتغل العرب في أعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة اقسام ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وإن لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد كثير من قواعده في كتاب الاغاني وأمثاله وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التي اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيذان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها

ذكروا أن الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن أحد من الحضور يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وترأ خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترأ خامساً أحمر متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضرباب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالحشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الآلة المعروفة بالميثقال يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رأيت أن العصر العباسي الثالث المذكور من أهم عصور آداب اللغة . والباقي لنا من آثار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته وفيها نخبة من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب . فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلا في الجزء الثالث ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قریش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان «صقر قریش» والصواب أن هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس

فهرست الجزء الثاني

من تاريخ آداب اللغة العربية

صفحة		صفحة	
٣٨	الالفاظ العلمية الاعجمية	٣	المقدمة
٣٩	التراكيب الاعجمية	٩	أقسام العصر العباسي
	الشعر	١٠	القرآن وآداب اللغة العربية
٤١	الانتقال الاجتماعي		العصر العباسي الاول
٤٢	مميزات الشعر	١٧	الانقلاب السياسي فيه
٤٢	طريقة النظم	١٨	الخلفاء والعلم
٤٤	المعاني الجديدة	١٩	حرية الدين
٤٧	وصف الحمر والغلمان	٢٠	الوزراء الفرس والموالي
٤٨	الشعر المجونى ووصف الرياض		أقسام آداب اللغة العربية
٤٩	الشعراء	٢١	العلوم الدخيلة
٤٩	الفرق بينهم وبين من تقدمهم	٢١	امتياز العرب على سواهم
٥٠	التهنك والخلاعة	٢٢	آداب اللغة اليونانية وفلاسفتها
٥٠	الشعراء الموالى	٢٥	الطب والنجوم واصحابها
٥١	الشكوك في الدين	٢٩	آداب اللغة الفارسية
٥٢	حرية الاقلام والالسنه	٣٠	آداب اللغة السريانية
٥٣	الشعراء عند الخلفاء	٣١	» » الهندية
٥٤	نقوذ الشعراء	٣٢	نقل الكتب ونقلتها
٥٥	تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية	٣٤	الكتب التي نقلت
٥٦	طبقات الشعراء	٣٤	الخلاصة
٥٦	الشعراء المتحضرون	٣٦	الباقى من المنقولات
	عمدة الشعراء		العلوم العربية الاصلية
٥٨	بشار بن برد	٣٧	اللغة
		٣٧	الالفاظ العلمية العربية

٩٢	شعراء لم يتحضرُوا	٦١	السيد الحميري
٩٣	كثوم بن عمرو	٦٢	أبو نواس ✓
	ربيعة الرقي وغيره	٦٦	مسلم بن الوليد
	الموم السانية	٦٧	أبو العتاهية
	الأدب والأدباء	٧٠	أبو تمام ✓
٩٦	رواة الادب	٧٢	دعبل الخزاعي
٩٧	الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم		سائر الشعراء
	عمدة الرواة	٧٤	أبو دلامة
١٠٠	قتادة بن دعامة	٧٥	حماد عجرد
١٠٠	أبو عمرو بن العلاء	٧٧	مروان ابن أبي حفصة
١٠٠	أبو عبيدة	٧٨	سلم الخاسر
١٠١	الاصمعي	٧٩	منصور النمري
١٠٢	أبو زيد الانصاري	٨٠	علي بن الجهم
١٠٣	أبو عبيد القاسم بن سلام	٨١	حسين بن الضحاك
	رواة الشعر		شعراء البرامكة
١٠٥	حماد الرواية	٨٢	ابان بن عبد الحميد
١٠٦	المفضل الضبي	٨٣	ابن منذر
١٠٦	خلف الاحمر	٨٤	الرقاشي
١٠٧	أبو عمر الشيباني	٨٤	اشجع السامي
١٠٨	محمد بن سلام		شعراء الشيعة وغيرهم
١٠٩	ابن أبي الخطاب	٨٥	ديك الجن
١١٠	ما هو مبلغ صدق الرواة	٨٦	مطيع بن اياس
	النحو	٨٧	أبو الشيص
		٨٨	العكوك
١١٣	البصريون والكوفيون		شعراء لم يكتبوا بالشعر
١١٤	سيمويه	٩٨	صالح بن عبد القدوس
١١٦	معاذ الهراء	٩٠	عباس بن الاحنف
١١٦	الكسائي	٩١	محمد بن بشر الرياشي

١٤٣	عبد الرحمن بن القاسم	١١٧	الفراء
١٤٤	الحديث	١١٨	ابن السكيت
١٤٥	التفسير والقراءة		علم اللغة
	التاريخ	١٢٠	اوليات كتب اللغة
١٤٦	الشيخ ابو اسماعيل	١٢١	الخليل بن احمد
١٤٦	الواقدي	١٢٤	مؤرج السدوسي
١٤٧	كتب الطبقات	١٢٥	النضر بن شميل
١٤٨	ابن سعد صاحب الطبقات	١٢٥	قطرب
١٤٨	الانساب وكتبها	١٢٥	ابن الاعرابي
١٤٩	هشام الكلبي		الانشاء والمفسسونه
١٥٠	السيرة النبوية	١٢٦	الانشاء
١٥٠	عبد الملك بن هاشم	١٢٧	اول ثمار الرخاء
١٥٠	محمد بن اسحق	١٢٨	التوقيعات
(١٥٢	نظرة عامة في العصر الاول	١٢٩	الانشاء المرسل
	العصر العباسي الثاني	١٣٠	منشئو الرسائل
١٥٣	تاريخه السياسي	١٣١	الكتاب المؤلفون
١٥٥	مميزاته	١٣١	عبد الله بن المقفع
	الشعر والشعراء	١٣٤	سهل بن هارون
١٤٦	مميزات الشعر	١٣٤	الموسيقى او الغناء
	اشهر الشعراء		العلوم الاسلامية
١٥٨	ابن الرومي	١٣٧	الفقه
١٥٩	المحتري	١٣٨	ابو حنيفة النعمان
١٦١	ابن المعتز	١٣٩	مالك بن انس
١٦٣	البسامي	١٤٠	الامام الشافعي
١٦٤	الخيزارزي	١٤١	الامام ابن حنبل
١٦٤	ابن العلاف	١٤٢	القاضي ابو يوسف
		١٤٣	محمد بن الحسن الشيباني

الادب والادباء

١٨٦ ابو العباس المبرد
١٨٧ المفضل بن سلمة
١٨٨ ابن دويد
١٨٩ عبدالرحمن الهمداني

١٦٦

مميزات الادب *

ادباء هذا العصر

١٦٧

الجاحظ

١٦٩

السكري

١٧٠

ابن قتيبة

١٧٢

ابن ابي الدنيا

١٧٢

قدامة بن جعفر

١٧٣

الوشاء

١٧٣

ابن عبد ربه

١٧٤

ابو بكر الصولي

١٧٥

ادباء آخرون

١٧٦

الانشاء

١٧٦

اسلوب بن المقفع

١٧٧

كساد البضاعة وفساد العقيدة

النحو والنحاة

التاريخ والمؤرخون

١٩١ ابن عبد الحكم
١٩١ البلاذري
١٩٣ محمد بن حبيب
١٩٣ الزبير بن بكار
١٩٤ عمر بن شبة
١٩٥ الازرقى
١٩٥ ابن طيفور
١٩٦ يعقوبى
١٩٧ ابو حنيفة الدينوري
١٩٧ ابن جرير الطبري
١٩٩ ابو زيد البلخي
٢٠٠ ابن البطريق

الجغرافية والجغرافيون

٢٠١ اسباب وضع الجغرافية
٢٠٢ ابن خرداذبه
٢٠٢ قدامة
٢٠٣ ابن الفقيه
٢٠٣ ابن رسته
٢٠٤ ابن الحائك
٢٠٤ ابن فضلان
٢٠٥ سلسلة تواريخ
٢٠٥ بزرك بن شهريار

١٨٠

ابو عثمان المازني

١٨٠

ابو العباس ثعلب

١٨١

ابو اسحق الزجاج

١٨٢

ابن الانباري

١٨٢

ابن ولاد

١٨٢

ابو جعفر النحاس

١٨٣

ابو القاسم الزجاجي

١٨٤

مذاهب البصريين والكوفيين

اللفظ والمقويون

١٨٥

ابو عمرو الهروي

١٨٥

ابو حاتم السجستاني

		العلوم الاسلامية الشرعية	
٢٢٧	الدولة الغزنوية		
٢٢٨	» الحمدانية	٢٠٧	علم الكلام
٢٢٩	» مروانية بالاندلس	٢٠٨	علماء الكلام
٢٣٠	» الفاطمية	٢٠٩	الحديث
٢٣٠	الوجهاء والعلم مزايا هذا العصر	٢١٠	البخارى
٢٣١	نضج العلم	٢١٠	القشيري
٢٣٢	ظهور الموسوعات	٢١٠	ابن ماجه
٢٣٢	تعدد العلوم	٢١١	أبو داود
٢٣٢	التدبير المنزلي	٢١١	الترمذي
٢٣٣	كتب السياسة	٢١١	النسائي
٢٣٣	الاقتصاد السياسي	٢١١	التفسير للطبري
٢٣٤	علم العمران		
	الشعر والشعراء		العلوم الرضية
	مزايا الشعر في هذا العصر		الفلسفة والرياضيات
٢٣٥	حل القيود القديمة	٢١٢	يعقوب الكندي
٢٣٦	مقتبسات الفلاسفة وغيرها	٢١٣	أبو نصر الفارابي
٢٣٦	أبواب عديدة	٢١٤	ابن أبي الربيع
٢٣٧	المبالغة		الطب والاطباء
٢٣٨	طول القصائد	٢١٦	ابن ماسويه
٢٣٩	الوصف الشعري	٢١٦	ابن سهل
٢٤٠	زيادة بحره	٢١٦	أبو بكر الرازي
٢٤١	تاريخ نقد الشعر	٢١٩	الزراعة
	أشهر الشعراء		
٢٤٥	أبو الطيب المتنبي	٢٢١	تقل العلم في المدائن
٢٤٩	أبو فراس	٢٢٢	أسباب النهضة
١٥١	* كشاجم	٢٢٣	الدول التي ساءت عليها
٢٥١	* السري الرفاء	٢٢٦	الدولة البويهية
٢٥٣	ابن هاني الاندلسي	٢٢٦	» السامانية
			» الزيارية

٢٨٩	كتب أخرى في الادب	٢٥٤
٢٩٠	المحاضرات	٢٥٥
	الروايات والقصص	٢٥٦
٢٩١	تمهيد	٢٥٦
٢٩٢	القصص التي وضعها العرب	٢٥٧
٢٩٥	القصص المنقولة	٢٥٧
٢٩٧	خرافات الافرنج	٢٥٧
٢٩٩	الدرام عند العرب	٢٥٩
	النحو والنحاة	٢٦٠
٣٠١	ابن خالويه	٢٦٤
٣٠١	أبو بكر الزبيدي	
٣٠٢	ابن جني	٢٦٥
٣٠٣	نحاة آخرون	٢٦٦
	اللغة واللغويون	٢٦٩
٣٠٤	المطرز البارودي	٢٧٢
٣٠٥	أبو علي القالي	٢٧٣
٣٠٥	أبو احمد العسكري	٢٧٤
٣٠٦	المعاجم اللغوية وأصحابها	٢٧٥
٣٠٨	التهذيب للازهري	٢٧٦
٣٠٨	المحيط للصاحب	٢٧٧
٣٠٩	المجمل لابن فارس	
٣٠٩	الصحاح للجوهري	٢٨١
٣١١	الجامع للقزاز	٢٨٣
٣١١	الموعب للتباني	٢٨٣
٣١١	المحكم والمختص لابن سيده	٢٨٤
	التاريخ والمؤرخون	٢٨٨
٣١٣	المسعودي	٢٨٨

٢٥٤	الوأواء الدمشقي
٢٥٥	السلامي
٢٥٦	البيغاء
٢٥٦	النامي
٢٥٧	ابن نباتة السعدي
٢٥٧	الشريف الرضي
٢٥٧	صريع الدلاء
٢٥٩	مهيار الديلمي
٢٦٠	أبو العلاء المعري
٢٦٤	سائر الشعراء
	الانشاء والترسل
٢٦٥	أسلوب الترسل
٢٦٦	الطريقة المدرسية وشروطها المنشئون
٢٦٩	ابن العميد
٢٧٢	أبو بكر الخوارزمي
٢٧٣	أبو اسحق الصابي
٢٧٤	الصاحب بن عباد
٢٧٥	بديع الزمان الهمذاني
٢٧٦	أبو منصور الثعالبي
٢٧٧	الادب والانشاء عند الافرنج
	الادب والادباء
٢٨١	أبو الفرج الاصبهاني
٢٨٣	أبو علي التنوخي
٢٨٣	أبو هلال العسكري
٢٨٤	أبو منصور الثعالبي
٢٨٨	الشريف المرتضى
٢٨٨	ابن رشيق القيرواني

٣٢٩	المقدسي	٣١٥	حمزة الاصفهاني
٣٣٠	ابن سراييون	٣١٥	ابن النديم
	العلوم الاسلامية	٣١٦	المرعشي
		٣١٧	مسكويه
٣٣١	علماء الكلام	٣١٨	صاعد الاندلسي
٣٣١	الباقلاني	٣١٩	ابو عمر الكندي
٣٣٢	التصوف	٣١٩	ابو عبد الله الحشني
٣٣٣	الفقه	٣١٩	ابو الحسن الاسكندراني
٣٣٣	الماوردي	٣٢٠	ابن القوطية
٣٣٤	الفرائض	٣٢٠	ابن زولاق
٣٣٤	التفسير والحديث	٣٢١	ابن الفرضي
	العلوم الدينية	٣٢١	عز الملك المسيحي
٣٣٥	الطب	٣٢١	ابو اسحق الثعلبي
٣٣٦	ابن سينا	٣٢٢	ابو النصر العتيبي
٣٣٨	الصيدلة والكيمياء	٣٢٣	هلال الصابي
٣٤١	ابن البيطار وابن الصوري	٣٢٣	القضاعي
٣٤١	الفلسفة	٣٢٤	ابو بكر الخطيب
٣٤١	اخوان الصفا		الجغرافيا والجغرافيون
٣٤٣	ماخذ لطلاب الفلسفة		الخرائط عند العرب
٣٤٤	النجوم	٣٢٦	اصحاب الجغرافية
٣٤٥	ابو الريحان البيروني		ابو زيد الباختي
٣٤٧	الرياضيات	٣٢٧	الاصطخري
٣٤٨	الفنون الجميلة	٣٢٧	ابن حوقل
٣٤٩	نظرة	٣٢٨	

1850 - 1851

THE WILLIAM

LIBRARY


1871

1871

AUC - LIBRARY



DATE DUE

PJ
7510
Z3
1924
v.2

13 JAN 1966

26 JUN 1997

6.1739459

13657224



1 0 0 0 0 0 3 2 3 8 9



10000032389

1

